الإعجاز

علمية-دينية-فصلية
تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة-لبنان
العدد الثامن عشر-السنة الخامسة-صيف ١٤٣٢هـ-٢٠١١م

البلغم الأصفر

جعل لكم من الشجر الأخضر نارا

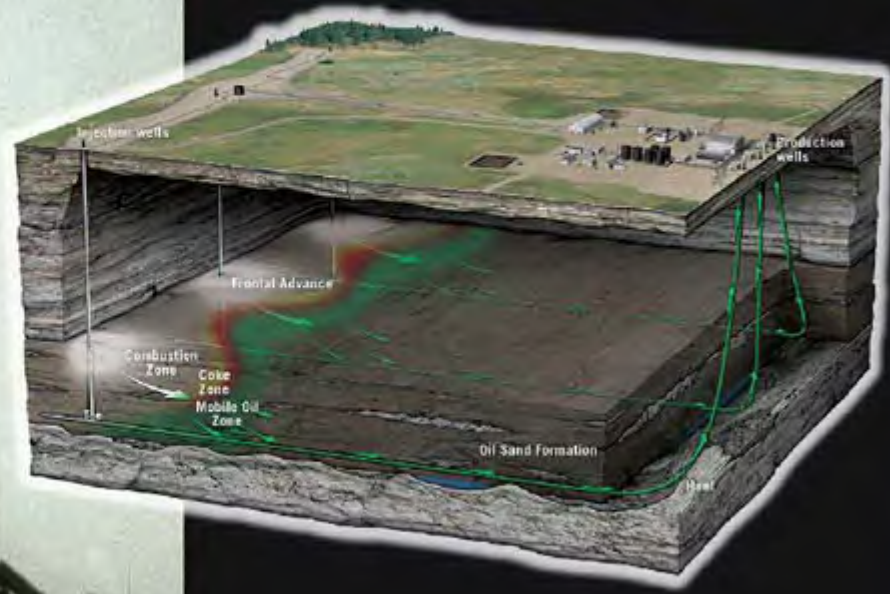

الإعجاز تستهل عامها الخامس

علمية - دينية - فصلية

تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة لبنان

العدد الثامن عشر – السنة الخامسة – صيف ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م

جمعية علم وخبر ٢٧٩/اد/٢٠٠٥/تعديل ٥٤/اد/٢٠٠٧

الفهرس

• إفتتاحية العدد	أ. صلاح سلام	ص ٤
• كلمة العدد: وضع الشباب أيديهم	رئيس التحرير	ص ٥
• معجزة قرآنية عن تكوين النفط	د. أسامة الكرم	ص ٦
• رائعة التشريع الجنائي	د. مصطفى أبو الخير	ص ١١
• الدود يشفي الأحياء ويأكل الأموات	ب. محمد هاشم عبد الباري	ص ٢١
• خير خلق الله	أ.ع.	ص ٢٥
• الصيدلية الربانية		ص ٢٨
• الفاكهة وفوائدها	د. سيتفن ماك	ص ٣٢
• بين الوصف النبوي وتصوّر علماء الفضاء	ع. د. محمد فرشوخ	ص ٣٤
• مرور البرق ورجوعه معجزة نبوية	د. عبد الدائم كحيل	ص ٤٣
• أسرار الشمس	أ. صبحي رمضان فرج	ص ٤٩
• إطفاء المصابيح ليلاً يقي من التلوّث الضوئي	د. هشام عبد الرحمن	ص ٥٧
• الجزاء من جنس العمل	ع. د. محمد فرشوخ	ص ٦٤

رئيس التحرير: العميد الدكتور محمد فرشوخ
العلاقات العامة: الأستاذ أحمد مختار الزاملي
الاشراف الفقهي واللغوي: القاضي المهندس أسامة منيمنة

الهيئة الإدارية لـ «منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» في لبنان:

الرئيس والمدير المسؤول: العميد الدكتور محمد فرشوخ
نائب الرئيس: د. نادر الغزال
أمين السر: الأستاذ بهيج مومنة
أمين الصندوق: الأستاذ باسم علي
المحاسب: الأستاذ زهير الجندي
مستشار: الأستاذ صلاح سلام
مستشار: النقيب د. غسان رعد
مستشار: د. خالد حسين

الاخراج والطباعة مطابع اللواء

يوزع هذا العدد مجانًا

صدر هذا العدد بدعم من إدارة جريدة اللواء،
وبمؤازرة علمية من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
للمساهمة في توسيع انتشار هذه المجلة، بنك عودة رقم الحساب:
٠١٠٦٢٠٠٢٤٦١٠٧٤٨٧٨

مؤسسات الدكتور محمد خالد الاجتماعية
DR. MOHAMAD KHALED SOCIAL FOUNDATIONS

بعونه تعالى

يعلن مستشفى التأهيل الطبي التخصصي

عن استقبال المرضى في عياداته الخارجية و المختبر

لكافة الإختصاصات

بأسعار متهاودة جداً

الافتتاحية

أ . صلاح سلام

في التغيير

مما سمعناه في صبانا من أحاديث الشيوخ قصة قاطع طريق تصدّى في إحدى غاراته الليلية لعربة تقل راهباً من دير مجاور، ولما علم اللص أن الراهب على غير دينه شهر مديته في وجهه وهدده بالقتل إذا لم يغير دينه على الفور. تردد الكاهن وحاول التلطف في وجه الرجل ثم لم يجد إلاّ الإذعان وسيلة ينقذ بها نفسه، فقال لقاطع الطريق: حسناً سأعتنق دينك فماذا تريدني أن أفعل؟

بهت اللص وحار في أمره لفرط جهله بعقيدته ودينه، وقال: لا أعرف! فأجابه الراهب بثقة: الآن سأتابع طريقي وعندما تعرف ماذا ينبغي أن أفعل تعال إلى الدير وأخبرني.

إنتهت القصة فما العبرة؟

إحداث التغيير في الشكل واستبدال الوجوه بوجوه أخرى أمر ممكن، والمطالبة بالتغيير ليست سوى حركة تالية يجب أن تسبقها أعمال كثيرة وأمور أعمق. فالأهم والأولى هو أن نعرف مسبقاً ماذا بعد وأن تكون الصورة واضحة منذ البداية للطريق المسلوك ولخط النهاية.

التغيير ليس في المطالبة وليس بالشعارات فحسب، إنما هو في العمق، في المعرفة وفي التنوير وفي التخطيط المسبق، كي لا يدخل على الخط من يحرف المسار وينتهز الفرص فيضيع الجهد المبذول وتتشتت الهمم وتتفرق السواعد.

وأول التغيير هو في الإعداد النفسي، والجهوزية الحقيقية هي في تطوير الداخل الإنساني وتعميم هذه المعرفة لدى جمهور الناس.

هل فاتنا أن النبي ﷺ أمضى الثلاث عشرة سنة الأولى من عمر الرسالة في إعداد الفرد قبل أن يمضي السنوات العشر المتبقية من عمره في تأسيس الدولة وإطلاق الدعاة وإعداد الجيوش؟

الفتوح في القلوب والعقول سبقت فتوح البلدان والأمصار، وتحصين الفرد والأسرة قبل تحصين المجتمعات والأوطان، وسبر أغوار النفوس قبل الإمساك بزمام السلطة وقبل التحكم بمصير البلاد والعباد. وفي الحديث الشريف: رجعنا من الجهاد الأصغر (أي المعركة)، إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس والهوى.

والخلاصة أن إحداث التغيير في الشكل أبسط وأسهل من إحداثه في العمق، وسرعان ما يطاح بالأول، لكن ما يستقر في الروع يمكن أن يبنى عليه لأنه ينير العقل ويثبت القلب، وفعله أدوم وأمتن وأصلح.

حمى الله هذه الأمة وسدّد خطاها.

كلمة العدد

وضع الشباب أيديهم على الجرح

كثر الدعاة والداعون، وتعددت القنوات الفضائية الملتزمة، وتنوعت برامج الفقه والتفسير والتوعية، والهوة لا تزال مع ذلك واسعة بين المحدّثين وبين فئة هامة من الجماهير على أهميتها وحماستها، ألا وهي فئة الشباب.

فقد كشفت الأحداث المتنقلة في أرجاء العالم العربي، وحتى في إيران، أن الشباب وهم رمز النشاط والحيوية والعطاء والحركة، باتت لهم وسائلهم الخاصة للتواصل ولتبادل الرأي والتعبير والتحرك.

وقبل إطلاق الأحكام، والخروج بالنظريات، تطرح أمامنا علامة استفهام كبيرة: من الذي يوجّه ومن الذي يحرّك، ومن الذي ينسّق؟ ما هو الحد الفاصل بين أفكار مستوردة وبين حاجات ملحة ومطالب محقة؟

ونخرج سريعاً إلى استنتاج هام: هل أولينا شبابنا وطلابنا الاهتمام اللازم والمناسب، منذ نشأتهم وخلال تربيتهم، وحين حان وقت توعيتهم؟ كيف تركنا غيرنا ممن نعرف وممن لا نعرف، يدرس واقعهم، ويعزز علاقته بهم، ويستغل قوتهم وهمتهم ونشاطهم وحماستهم.

هل سنبقى ننتظر القلة القليلة من الشباب الواعي والمدرك التي تأتينا لطلب النصح والإرشاد، أم علينا أن نذهب نحن إلى الكثرة الكثيرة منهم ونتردد نحن عليهم، ونعرض بضاعتنا ونحفّزهم ونستحثّهم؟

ما هي الوسائل التي عرف سوانا كيف يستعملها وعجزنا عن مجاراتهم بها؟ مثل «الفايس بوك» و«التويتر» وسواهما، بينما لا نزال نرفض التعاطي مع مثل هذه الأدوات مدعين بأنها «أدوات إستعمارية» لنخفي عجزنا عن خوض غمارها وحسن استخدامها؟

استسهل الشباب التخاطب والكتابة باللغة الأجنبية عبر تلك المواقع، وظهر ضعفهم جلياً في إتقان اللغة العربية إنشاءً وكتابة. وتتراوح المواضيع التي يطرحونها بين سطحي وعميق، وبين منفتح وغريب، وبين ألمٍ وضياع، وبين جد وهزل. يتعارفون بينهم لكنهم مخترقون وبينهم مجهولون بأسماء مستعارة، يدسون السم بالدسم، ويروجون أفكاراً مستوردة، ويطرحون شعارات مستساغة، ومع ذلك نجد بينهم نخبة واعية لكنها تحتاج إلى دعم ومؤازرة.

نشاطاتهم المجدية قليلة وممارستهم للرياضة وللأعمال الاجتماعية محدودة؟ فهل تساءلنا أين يتواجدون في بقية الأوقات المتسعة؟

رحم الله الإمام محمد عبده فقد كان يتعقب تلامذته في المقاهي ويخوض غمار الدعوة في كل مكان، ورضي الله عن كل داعية تخلّى عن كرسيه وموقعه ليعرض نفسه ومعتقده على الشباب حيث يكونون.

من يجب أن يخدم من؟ ومن يجب أن يسعى وراء من؟ الداعي أم المدعو؟ ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل وفي المواسم والأسواق؟ متى يتكفل بعض أولي الشأن بالاقتراب من الشباب ودراسة أوضاعهم ومعرفة هواجسهم، وطرق اجتذابهم؟

وكما يحتاج الشباب إلى توجيهه في فتوته، وإلى مواكبته في مراهقته، فهو يريد بعد ذلك أن يتعاطى مثلنا في الشأن العام، وله رأيه وتطلعاته، فهل نشركه معنا طوعاً وبإيجابية، أم يقحم نفسه قسراً وبمنتهى السلبية؟

الشباب يريدنا أن نستمع إليه قبل أن يستمع إلينا، فهل سنبقى مصرين على أن نسمعهم ما نريد على أن نسمع منهم ما يريدون. يريدون اجتهاداً لا ترداداً، ويملكون قوة وطاقة يقتضي تصويبها. هم المستقبل وفي حل مشاكلهم نؤسس لحل لمشاكل أمتنا .

رئيس التحرير

معجزة قرآنية عن تكوين النفط

د. أسامة الكرم*

يستهل المولى عز وجل آياته في سورة الأعلى فيأمرنا أن نسبح باسمه، أي ان نمجده... لماذ؟ فقد ظل السر اكثر من ١٤ قرناً من الزمان. اما الآن فنحن ندرك جيدا عظمة هذة السورة الكريمة ومعجزاتها الكبيرة . ﴿ *سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* [١] *الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* [٢] *وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى*[٣] *وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى*[٤] *فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى*[٥] ﴾

ذكر أصل الوقود والنار في أكثر من آية

المرعى هو النبات الاخضر الشديد الانبات الذي يعيش به الحيوان. والغثاء هو كما جاء في لسان الميزان: بالضم والمد، ما يحمل السيل من القَمَش والقذر، الهالك البالي من ورق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زبده. إذن غثاء يعني نبات جاف له عدة صفات ... متحرك بقوة... متعرض لضغط شديد ... مر عليه زمن طويل فتغير لونه من الخضرة للسواد...أما معنى "أحوى" أي مظلم، مائل للسواد... ، مأخوذ من الحُوَّة – بضم الحاء مع تشديد الواو المفتوحة – وهى لون يكون بين السواد والخضرة أو الحمرة . إنه لون البترول... ووصف الغثاء بأنه أحوى ، لأنه إذا طال عليه الزمن، وأصابته المياه، اسود وتعفن فصار أحوى...أي أن المرعى أي النبات الكثيف الذي يرعى به الحيوان يجعله الله بقدرته سائل غزير مضغوط لونه مائل للسواد يتحرك مثل ماء السيل أي بقوة .

جعل من الشجر الأخضر نارا

لقد اكتشف العلماء البترول قبل عقود قليلة من الان...وبلا شك لم يكن معروفاً في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولقد توصل العلماء ان أصل البترول نباتات كثيفة و حيوانات (أي مرعى) وقد تحللت وتحولت عبر الزمن وتحت حرارة وضغط طبقات التربة المتراكمة الى مادة البترول . وهذا يشير الى ان المناطق التي يكثر فيها البترول الآن كانت عبر ملايين السنين الماضية مناطق خصبة بالنبات وهي اصل البترول وان كانت في الوقت الحاضر لا تدل على ذلك ، كما هو البترول في الجزيرة العربية الذى ينتج من وسط الصحراء

غابات خضراء وحيوانات مطمورة

وقد اكتشف حديثا بالتصوير الفضائي ان الربع الخالي يوجد فيه أثار لقرى قديمة وآثار لأنهار عظيمة مما يؤكد انها كانت مروجًا وبساتين وهذه حقيقة ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال (لا تقوم الساعة حتى تعود بلاد العرب مروجًا وانهاراً).

وفي إشارة اخرى يقول عز من قائل في سورة يس الآية ٨٠: ﴿ *الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون* ﴾ وهنا يجب أن ندقق النظر في الكلمتين الشجر الاخضر وأيضاً كلمة توقدون أي أن الاخضر أصبح وقوداً وطاقة.

سبحان الله إنها معجزة قرآنية جديدة . يطالبنا فيها الله ان نسبح باسمه ونمجده. إنه يتحدث عن الوقود الذي هو عصب حياتنا اليوم وعن أصل تكوينه عبر السنين...

---

http://www.ibtesama.com/vb/ * showthread-t__110508.html

إضمن نسختك القادمة من «الإعجاز»

إذا كانت مجلة «الإعجاز» لا تصلكم بواسطة البريد Liban Post ، ولكي نضمن وصول الأعداد القادمة إليكم يرجى تزويدنا بعنوانكم كاملاً وواضحًا.

يمكن إرسال العنوان بالفاكس أو عبر الإنترنت أو بالبريد العادي على عناوين منتدى الإعجاز المطبوعة في المجلة.

البترول والماء

د. إبراهيم طرابية*

البترول أي النفط مادة اقتصادية ذات أهمية كبرى توجد في خزانات بترولية داخل القشرة الأرضية. وكلمة بترول Petroleum مشتقة من Petro يعنى صخر ومن oleum يعنى زيت بمعنى زيت الصخر أي بترول. إن هذا الخام تكون علمياً نتيجة لدفن الكائنات الحية (النباتية والحيوانية) بسبب الحركات الأرضية المؤثرة على القشرة الأرضية. ويتميز هذا الخام البترولي بأنه أقل كثافة من الماء وأثقل من الغاز الطبيعي فلو تصادف تواجدهم معًا في خزان واحد فيكون ترتيبهم كالآتي : ماء يعلوه بترول ثم يعلوه غاز طبيعي.

النفط زيت تحفظه الصخور من ملايين السنين

وتوجد هناك عدة نظريات علمية تفسر أصل تكوين البترول وأهمها :-

١- **النظرية غير العضوية** بناءاً على إمكانية تحضير مركبات مثل غاز الميثان –الأثين – الأستلين – البنزين من مصادر غير عضوية.

٢- **النظرية العضوية** تعتمد على وجود مادة البورفرين والنتروجين في بقايا نباتية وحيوانية.

ولكن في الحقيقة لقد تكون هذا الخام البترولي من أصل عضوي نباتي وهذا يتبين من قول الله عز وجل « الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » (يس٨٠).

وبدراسة دورة الماء في الطبيعة من خلال القرآن الكريم فإنه يمكن استنتاج الكثير عن الحقائق العلمية الخاصة بتواجد البترول والغاز الطبيعي وهل هذا الخام يهاجر من خزان إلى آخر وهل أيضاً البترول مخزون لا ينفذ أما ماذا ؟

أصل النفط عضوي نباتي وحيوانات مطمورة

بالتفكر والتمعن في قوله تعالى: (أَخْرَجَ مِنْهَا ماءها وَمَرْعَاهَا) [سورة: النازعات – الآية: ٣١] نجد أن كل ماء الأرض يخرج منها، فلقد تبين علميًا أن اغلب الماء إن لم يكن كله يخرج مع البراكين ثم يمر هذا الماء بعدة مراحل حتى يصبح نقيًا صالحاً للاستخدام ونوجز تلك المراحل كالآتي :-

١- **البراكين** حيث يصاحبه كميات هائلة من المياه سواء حدث على سطح القارات أو على قيعان البحار والمحيطات وحينئذ تعرف تلك المناطق المائية التي يحدث بها براكين بالبحر المسجور.

٢- **الرياح** تقوم بدور تلقيح للسحب لقوله تعالى: ﴿ *وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ* ﴾ [سورة: الحجر – الآية: ٢٢] وقال تعالى: ﴿ *اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* ﴾ [سورة: الروم – الآية: ٤٨].

٣- **أشعة الشمس** حيث تتبخر مياه البحار والمحيطات مكونة سحب وعند تلقيحها بواسطة الرياح أو اصطدامها بجسم بارد فتسقط الأمطار، قال تعالى: ﴿ *وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا* ﴾ [سورة: النبأ – الآية:١٣– ١٤]

٤- **الجبال** الشامخات لها دور

فعال في تكوين الثلوج على قممها عند اصطدام السحب بها وعندما ترتفع درجة الحرارة يذوب هذا الجليد مكونا أنهاراً قال تعالى: ﴿*وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا*﴾ [سورة: المرسلات – الآية: ٢٧]

٥- **الصخور** حيث تلعب مسامية الصخور دوراً هاماً في تجميع مياه الأمطار على هيئة خزانات جوفية Aquifers وهذا النوع من المياه يعرف بالمياه الجوفية Ground Water. قال تعالى: ﴿*أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ*﴾ [سورة: الزمر – الآية: ٢١] وقال تعالى: ﴿*وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ*﴾ [سورة: المؤمنون – الآية: ١٨] وهذه الخزانات الجوفية قد توجد قريبة من السطح أو عميقة ، قال تعالى: ﴿*قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ*﴾ [سورة: الملك – الآية: ٣٠]

٦- **البحار والمحيطات** ودورها تعمل كخزان مياه سطحي بلا حدود حيث تتعرض المياه لعملية التبخر Evaporation بتأثير أشعة الشمس.

وجه المقارنة بين البترول والماء

١-**الخزان:** إن تواجد المياه في الأرض يكون على هيئة إسكان إلى أن يشاء الله تعالى. قال تعالى: ﴿*وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ*﴾ [سورة: المؤمنون – الآية: ١٨] بينما تواجد البترول يكون على هيئة مُكث لقوله تعالى: ﴿*. . . . وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ . . . .*﴾ [سورة: الرعد – الآية: ١٧]. ومن هنا يتبين استمرارية المياه في الوجود بينما البترول موجود بصفة مؤقتة وإنه في طريقه للنضوب.

يرسب الماء ويطفو النفط وفوقه الغاز

٢- **الهجرة**: من (الآية: ١٨ سورة: المؤمنون) و (الآية: سورة: الزمر ٢١) يتبين أن الماء يهاجر أينما توافر له مسلكًا مثل فالق أو صخور ذات مسامية ونفاذية عالية والبترول أيضاً يهاجر إما بداخل الخزان البترولي وتسمى هذه الهجرة بالهجرة الأولية Primary Migration وإما أن يهاجر من خزان إلى آخر وتسمى بالهجرة الثانوية Secondary Migration.

٣-**الحاجز:** إنه عند تقابل ماء النهر العذب بماء البحر المالح فتتكون منطقة تسمى بالبرزخ والحجر المحجور.

قال تعالى: ﴿*وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا*﴾ [سورة: الفرقان – الآية: ٥٣]

بينما عند تقابل البترول بالماء الجوفي فإنه يطفو فوق الماء ويتكون بينهما حاجز حيث لا يذوب البترول في الماء.

---

* دكتوراه فى الجيوفيزياء.
وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع www.quran-m.com

« الإعجاز» دينية علمية غير سياسية

- تبحث في إعجازَيْ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- يساهم في إعدادها باحثون ومفكرون لبنانيون.
- لا تتوخى الربح والاشتراك فيها مجاني.
- ما على الراغبين بالحصول على نسخة منها سوى مراجعة مركز المنتدى وتزويده باسم الشخص أو المؤسسة مع ذكر العنوان ورقم الهاتف. اشترك مجانًا في مجلة الإعجاز تصل إلى عنوانك.

الرحمن علم القرآن
١٨ - إعجاز القرآن في خبر السماء

أ. باسم وحيد الدين علي*

بسم الله الرحمن الرحيم

نأتي اليوم إلى إعجاز جديد، وهو خبر السماء من رب السماء، في كل ما يتعلق بالتعريف عن الخالق وعظمته، وبخلق الكون ودقته، وخلق الانسان وغايته. ولمن يعتقد أن هذا الأمر عادي ومعروف، عليه أن يعلم أن الكتب السالفة التي عُرفت قبل الإسلام، خلت من هذه الدقائق، وأن القرآن الكريم قد تفرد بها وحده.

ففي القرآن الكريم عرّف الله تعالى عن ذاته العلية وعن قدرته السنية، وعن أسمائه البهية، ولولا قيامه بالتعريف عن نفسه لما تسنى لمخلوق أن يصل إلى مثل هذه المعارف ولو اجتمع الإنس والجن أجمعون. كما عرّف عن ابن آدم ونقاط قوته و ضعفه. وعن الشيطان وحبائله.

ولم يرد، في أي كتاب غير القرآن، ذكرٌ مفصلٌ عن خلق السماوات والأرض، بهذه الدقة المتناهية، وبما يتطابق مع المكتشفات الفضائية والأبحاث العلمية، والأمر لا يتوقف عند مسألة كيفية الخلق بل يتعداه إلى نقطتين: الأولى لماذا خلق الله السموات والأرض، والنقطة الثانية رداً على من قال أن الله تعالى استراح بعد أن أتم خلق السماوات والأرض.

فوصف السماوات وتبيان عظمة الخلق ما هو إلا مقدمة ليتعرف العباد إلى عظمة خالقهم جلّ وعلا، ولكي يعترفوا له بالوحدانية ويقرّوا له بالربوبية، فلا يعبدوا غيره، قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿*وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* [٥٦] *مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* [٥٧] *إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ* [٥٨]﴾.

ثم رد القرآن الكريم على مقولة الاستراحة بعد الخلق، لمن أساء فهم الآيات في الكتب السالفة وفي القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة السجدة: ﴿*اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ. . .*﴾. فالاستواء هنا لا يعني الاستراحة من قريب أو بعيد بل يعني الإشراف والهيمنة والحكم والتدبير لقوله تعالى بعد الآية السابقة: ﴿*يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ. . .*﴾.

والله تعالى القوي القادر على خلق هذا الكون العظيم، تعالى عن أن يمسه تعب أو إرهاق، فالتعب والإرهاق من صفات المخلوقات، والمخلوق هو المحدود القدرة والذي لنشاطه حد ولقوته نهاية، فأظهر القرآن الكريم أولاً عظمة الخلق، ثم نبّه، إلى أنه من السهل على الله أن يعيدَ خلقَه مرات ومرات. قال تعالى في سورة الروم: ﴿*وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* [٢٧]﴾.

ومع أن خلقَ السماوات والأرض شيءٍ خطير، لقوله تعالى في سورة غافر: ﴿*لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ* [٥٧]﴾.

فإن المولى تعالى يردّ على من قَصُر فهمه عن معرفة عظمة الله، وضاق إدراكه عن التمييز بين قدرة الله المطلقة، وبين طاقة الناس المحدودة، فقال في سورة فاطر: ﴿*إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا* [٤١]﴾.

ثم نفى عن ذاته العليّة صفة التعب، والحاجة إلى الراحة، فقال في سورة ق: ﴿*وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ* [٣٨]﴾.

وبالمناسبة، فقد أوضح الخالق العظيم في القرآن الكريم، معنى أيام الخلق الستة، لمن اعتقد من السالفين أن الخلق قد

تم في ستة أيام من أيامنا هذه، فعرّف اليوم في السماء في سورة الحج بقوله تعالى: ﴿*وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ* [٤٧]﴾. وعرّف يوماً آخر من أيام السماء في سورة المعارج بقوله تعالى: ﴿*تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ* [٤]﴾. ويفهم من ذلك أن يوماً قد يعني مرحلةً تمتد دهوراً بمقاييسنا، وقد لا تعدو عند الله تعالى أكثر من مقدار ﴿*كن فيكون*﴾.

ومن نبأ السماء أيضاً لحظةُ خلق ابن آدم وما رافقها وتلاها من أمور، تفرد بها القرآن الكريم وحده، ولم يكن بمقدور أحد من قبل ومن بعد أن يعرف نبأها، لولا أن الله تعالى شرفنا بذكرها في كتابه الفريد العظيم، فخلق آدمَ بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، مما تعرفه الملائكة ومما لا تعرفه، كي يعلم الإنسان قدر هذا الشرف العظيم الذي أعطي له، ويرد على فضل الله تعالى بالاعتراف والإيقان والخضوع والامتثال، فقال في سورة الحجر: ﴿*وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* [٢٦] *وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ* [٢٧] *وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* [٢٨] *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* [٢٩]﴾.

ولأن القرآنَ الكريمَ كتابُ حقٍ وكتاب صدق، لم يُخْفِ الله تعالى فيه شيئاً عن عباده، حتى قلةَ أدب إبليس مع الله عز وجل، ذكرها ربنا في القرآن، ولم ير فيها انتقاصاً من هيبته وجلاله عند الخلق. ولو كتب أحدنا مذكراته، لأخفى بعضاً مما يخجل من عرضه على الناس، لكن الله تعالى وهو الحق، وهو أصدق القائلين، كشف بالتفصيل عن ذلك الموقف الذي خرج فيه إبليس من رحمة الله، بسبب غيرته وحسده ونفسه الأمارة، فأصبح من أول لحظة خُلق فيها آدم، عدواً له ولذريته من بعده. فقال تعالى في سورة ص: ﴿*فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* [٧٣] *إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ* [٧٤] *قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ* [٧٥] *قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ* [٧٦] *قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ* [٧٧] *وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ* [٧٨] *قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* [٧٩] *قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ* [٨٠] *إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* [٨١] *قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* [٨٢] *إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ* [٨٣]﴾.

وقد ذكر الله تعالى ذلك، رحمةً بنا لينقذنا، وينبهنا، إلى خطر إبليس وأعوانه، ولكي نأخذ حذرنا من شرك الشيطان وحبائله، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿*إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ* [٦]﴾. وما إخبارُنا عن هذه المواجهة إلا لتعليمنا وتحذيرنا من خطر الإصغاء إلى إبليس واتباع سبيله.

ويفاجأ الباحث حين يراجع الكتبَ السالفة، فلا يجد فيها ذكراً لمواقف الشيطان وأساليبه، حتى أن خبر إغوائه لآدم وحواء في الجنة ورد في التوراة بأن الحيّة هي التي أغوتهما، ولم يُذكَر إبليس باسمه وبحقيقته، وقلما نقرأ في غير القرآن عن الشيطان ووسائله، ومغرياته وحبائله.

وفي الخلاصة نتساءل، ما هو المقصود من إيراد أخبار السماء في القرآن الكريم؟ أهو التعرفُ إلى خالق هذا الكون؟ أم توسيعُ مدارك العبد حتى ينصرف إلى الأهم والأدوم والأجدى؟ أم تحصينُ الانسان بالمعرفة لكي لا يغتر ولا يُغرَّر به، فلا يتوجه إلا لربه وخالقه ؟ أم لهذه الغايات وغيرها مجتمعة؟

فنجد أن الله تعالى يحب خلقه، ولا يرضى لعباده الكفر، ولم يترك وسيلة للإقناع إلا اعتمدها في القرآن الكريم، ولم يترك أمة إلا خلا فيها نذير، وادخر القرآن والنبيَّ محمداً عليه الصلاة والسلام للزمن الأخير من عمر الدنيا، وسلحهما بالأدلة والبراهين، العلمية والمنطقية والروحية، فإذا بأصحاب العقول يذعنون وبأصحاب القلوب يؤمنون.

تظهر لنا مما سلف بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم في خبر السماء، وما مضى من أنباء، والتي لا يعلمها إلا الله، ولم يحفظها سوى الله. ولولا ما ورد منها في القرآن الكريم، لقال من قال، ما شاء أن يقول، بلا رقيب ولا ضابط ولا حسيب، وها هي المكتشفات العلمية والتاريخية تؤكد للمتشككين، صحة ما ورد في القرآن الكريم ودقته.

جعلنا الله وإياكم ممن يقرؤن فيتفكرون فيعتبرون، ويصحون فيؤمنون.

رائعة التشريع الجنائي الإسلامي في القصاص

الدكتور مصطفى أحمد أبو الخير*

قال الله تعالى في سورة البقرة الآية ١٧٩: ﴿*ولكم في القصاص حياة*﴾. عبارة مفيدة معانيها نافذة لا تنفد ولا تموت وكلها حياة عمرها عمر الإسلام والإنسان. وآية بكلٍ ما تحمل هذه الكلمة من مفهوم ومضمون، وهي أيضاً حكمة تشريعية تحمل بين طياتها إعجازاً تشريعياً لم تصل إليه حتى الآن السياسات الجنائية والعقابية في كافة النظم القانونية الوضعية الموجودة في العالم. وعلى الرغم أن ظاهرها التناقض، فقد يودي القصاص بحياة الإنسان فتصل العقوبة إلى الإعدام، أي الموت، ولكن مع ذلك فإن الموت هنا حياة للمجتمع.

أولا: فلسفة التشريع الجنائي الإسلامي

أساس العقوبات الإسلامية (القصاص) فقال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿*ولكم في القصاص حياة*﴾ (الآية١٧٩) أي التساوي بين الإثم المرتكب والعقوبة الرادعة. فقد عبر القرآن عن العقوبة بالمثلات فقال تعالى في عقابه الأمم السابقة ﴿*ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات*﴾[الرعد-٦] أي إن العقوبات مماثلة للذنوب والآثام، فالعقوبات الإسلامية عامة تقوم على المساواة بين الجرم والعقوبة ولذلك تسمى (قصاصاً)، وتلك غاية وهدف تسعى إليه كافة النظم القانونية الموجودة في العالم، ولم يصل إليها إلا النظام الإسلامي.

يجب أن تعادل العقوبة الإثم المرتكب

وقال أهل العلم في تسمية الحدود حدوداً لأنها تفصل وتمنع وتحجز من الوقوع في الجريمة والإثم الذي يضر صاحبه ولا يقتصر ضرره عليه بل يتعداه إلى غيره، ومن هنا قالوا سميت الحدود حدوداً لأنها تمنع من الإقدام على ارتكاب المعاصي ولأنها من جهة أخرى تمنع من ارتكب المعصية من العود إليها إذا أخذ عقوبته المكافأة الزاجرة. وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بالعباد وبأمة الإسلام أنه لم يجعل أمر العدوان على ثوابت استقرار المجتمعات أمراً يرجع إلى تقدير الخلق، ومن ترك شرع الله سبحانه وتعالى تخبط.

لذلك انتشرت الجرائم في تلك المجتمعات وسجلت معدلات الجريمة فيها أرقامًا قياسية مخيفة تهدد بأفول نجم الحضارة الغربية، وقد بدأت صيحات التحذير من أفول هذه الحضارة في كل الدول الغربية ومن مضى على نهجها.

الرحمة هي أساس الإسلام، والعدل والرحمة متلازمان لا يفترق أحدهما عن الآخر أبدًا. فالرحمة من لوازم العدل وثمرة من ثمراته فلا توجد الرحمة مع الظلم، كما لا يمكن أن يكون العدل مخالفًا للرحمة. ويستوي في ذلك العدل بين الناس والعدل بين الدول. فالعدالة الحقيقية هي الرحمة الحقيقية. وهناك فرق بين الرحمة والرأفة، فالأولى أوسع من الثانية وتكون في الخير العام والعدالة، أما الرأفة فإنها إحساس بالشفقة على من يتألم سواء كان هذا الألم عدلاً أم غير عدل، ومنهي عنها عندما يكون الألم ناتج عن إنزال عقوبة رادعة عن الشر ومانعة للإثم.

ويهدف النظام الجنائي في الإسلام لحفظ الكليات الخمس التي لا تقوم الحياة ولا تستمر بدونها وهي: حفظ النفس، وحفظ

الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. وأي جريمة هي اعتداء على أحدى هذه الكليات السابقة، فقد شرعت كافة العقوبات في الإسلام للمحافظة عليها. ولقد أوضحها حجة الإسلام الغزالي في كتابه المستصفى فقال: « إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول، فهو مفسدة، ودفعها مصلحة، وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات، فهي أقوى المراتب في المصالح، ومثاله قضاء الشرع بقتل الكافر المضل، وعقوبة المبتدع الداعي إلى بدعته، فإن هذا يفوت على الخلق دينهم، وقضاؤه بإيجاب القصاص، إذ به حفظ النفوس، وإيجاب حد الشرب، إذ به حفظ العقول التي هي ملاك التكليف، وإيجاب حد الزنى، إذ به حفظ النسب والأنساب، وزجر الغصّاب والسرّاق، إذ به يحصل حفظ الأموال التي هي معايش الخلق وهم مضطرون إليها، وتحريم تفويت هذه الأمور الخمسة».

والمصالح المعتبرة وإن لم تكن دائما ذاتية، لكنها تعد من البديهيات، كما إن المنافع إضافية فقد تكون منافع قوم فيها ضرر بآخرين وقد تكون منفعة عاجلة تدفع منفعة آجلة، مادية أو معنوية لذلك يجب عند تجريم الفعل أو إباحته النظر إلى منافعه ومضاره والتوازن بينهما. كما أن المصلحة المعتبرة من الشارع تختلف عن اللذة والشهوة، فالشهوات والأهواء أمور شخصية آنية وقد تكون انحرافًا وأحيانًا تتعلق بأمور لا تنفع ولا تجدي بل تضر، والهوى انحراف عن الفكر فيدفع للفساد ومن ثم للجريمة، وأغراض البشر وغاياتهم ليست دائمًا متجهة إلى المصالح التي يحميها الإسلام، أنما يحمي الإسلام الأغراض والمنافع الشخصية المتفقة مع المصالح العامة، لذلك تقرر إقامة العقاب على أساس حماية المصالح الإنسانية المتمثلة في حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، واعتبار العقوبة من العدالة. وظهرت منطقية وحيوية ومضمون ومفهوم الآية الكريمة ﴿*ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب*﴾ والملاحظ أن الآية الكريمة اختتمت بالنداء على ﴿*أولي الألباب*﴾ أي أصحاب العقول النيرة المفكرة وليست الضالة المظلمة، وفي ذلك إعجاز آخر.

إقامة الحد للحد من استمرار الجريمة

ورغم أن كافة النظم القانونية الوضعية الموجودة في العالم قد جرمت الاعتداء على أي من هذه الأصول الخمسة، ولكنها فشلت في المحافظة عليها. حتى أن مجتمعات هذه النظم منها من انهار تحت وطأة الجريمة ومنها من هو في سبيله إلى ذلك الانهيار، فمعدلات الجريمة بلغت أرقام قياسية مرعبة تنذر بكارثة محققة في تلك المجتمعات. وفيما فشلت هذه النظم الوضعية في تحقيق المقصود، نجحت الشريعة الإسلامية في السياسة الجنائية من حيث التجريم والعقوبة والموائمة بينهما.

إن القانون ضرورة لا مفر منها للجماعة ولا غنى عنها للبشر وهو في حقيقته ليس إلا أداة أوجدتها الجماعة لخدمتها وإسعادها، وتستمد القوانين وجودها وشرعيتها من حاجة الجماعة إليها. فوظيفة القانون تتمثل في تنظيم الجماعة ومنع المظالم وحفظ الحقوق وتحقيق العدالة وتوجيه الشعوب نحو النافع والمفيد، لذلك فإن كل قانون لا تحقق نصوصه هذه الوظيفة أو تخرج عليها يفقد مبررات وجوده ومسوغات مشروعيته، ويعد باطلاً لا يطاع ولا يحترم ويجب نبذه وعدم تطبيقه.

تختلف القوانين باختلاف الأمم والشعوب لأن القانون مرآة صادقة لماضيها وحاضرها فهو يعبر عن نشأتها وتطورها وأخلاقها وتقاليدها وآدابها ونظمها ودينها ومعتقداتها، فقانون أي أمة أو شعب يتضمن القيم العليا السائدة في الأمم والشعوب، لذلك وجدنا القوانين تسمى باسم الأمم والشعوب، فهناك القانون الأمريكي والقانون الفرنسي والقانون المصري والقانون السوري وغيرها.

وإذا ثبت انتساب القانون للأمة ثبتت شرعيته وأهليته لحكمها، وطبقه الناس عن رضى نفس وطيب خاطر، لأن الأمة في هذه الحالة أنما تحكم نفسها بنفسها، وتخضع لما تدين به من عقائد وقيم ومثل عليا، لذلك يحرص المقننون في كافة الأنظمة القانونية الموجودة في العالم على تعديل القوانين حال تطبيقها على أمة أخرى غير أمتها لتوافق الأمة الأخيرة، لأن إلزام أمة بتطبيق قانون أمة أخرى دون مراعاة الفروق بينهما معناه إلزامها التخلي عن عاداتها وتقاليدها وآدابها ومميزاتها ونظمها وشرائعها، بل يصل الأمر إلى مطالبتها بالتخلي عن نظامها الاجتماعي والتفريط في دينها، وهذا ما حدث للدول الإسلامية ابان فترة الاحتلال، مما أخرج هذه القوانين عن أهدافها وغاياتها، وأدت إلى فساد وإفساد هذه المجتمعات. (...)

هدف التشريع: حفظ النفس، والدين، والعقل، والنسل، والمال

والقانون يتكون من جسم وروح فلا يمكن أن يحقق أهدافه إلا إذا صيغ في نصوص ومواد تحفظ المعاني القانونية الرفيعة من التحريف والانحراف والنسيان، وهذا هو جسم القانون، وروح القانون تتمثل في سلطان القانون على الناس وتقاس صلاحية القانون بمدى تقبل الأفراد له وقوة سلطانه عليهم الذي يقوم على عنصرين، عنصر روحي خالص (نفسي)، وهو الصلة بين القانون وقلوب الأفراد ونفوسهم، وتكمن في رضاء الأفراد وقابليتهم لتطبيق واحترام القانون، ولا يتحقق ذلك إلا إذا قامت نصوص القانون على عقائد تؤمن بها الأفراد أو دين يتبعونه أو مبادئ وتقاليد وقيم يحرصون على احترامها، وعنصر الإلزام وهو الجزاء الذي يرتبه القانون على مخالفته كالعقوبة والتعويض والرد والفسخ والبطلان وغيرها.

إن القوانين الوضعية كانت قبل الثورة الفرنسية مزيجًا من القواعد الآمرة والناهية الموروثة عن الرومان وغيرهم إضافة إلى بعض المبادئ الأخلاقية والعادات والتقاليد والسوابق القضائية ثم بعض القواعد الدينية التي تختلف باختلاف الدين والمذاهب، وبعد الثورة الفرنسية ورفع شعار (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) تم تجريد القوانين الوضعية من كل ماله علاقة بالدين والعقائد والأخلاق والفضائل الإنسانية، وأصبحت هذه القوانين تنظم علاقات الأفراد المادية وشؤون الأمن ونظام الحكم، وذلك تحت زعم تحقيق وتطبيق الحرية والمساواة والإخاء بين الأفراد، ولكن أدى ذلك إلى فساد الأخلاق وانتشرت الفوضى مما أشاع روح التمرد والاستهانة بالقانون وكثرت الثورات وتعددت الانقلابات، وغاب الاطمئنان وأنعدم الأمن.

ولكن الشريعة الإسلامية حلت تلك المشكلة ببساطة ومنطق حيث ساوت بين الأفراد فيما هم متساوون فيه وخالفت بينهم فيما هم مختلفون فيه.

ظلت الشريعة الإسلامية تحكم المجتمعات الإسلامية في الدول العربية والإسلامية منذ أن دخلها الإسلام إلى أن ابتليت بالاستعمار الغربي، وتمت تنحية وعزل الإسلام ليس كدين فقط بل أيضًا كهوية وتشريع ومنهاج حياة وقانون وتم عزله عن منصة الحكم والتشريع والقضاء، في الدول العربية والإسلامية، واستبداله بالقوانين الوضعية تحت زعم الأخذ بأسباب المدنية الأوربية والتقدم الأوربي والمدنية الحديثة، وكأن سبب التقدم الأوربي والمدنية الحديثة هو هذه القوانين الوضعية، ورغم تفاهة تلك الحجة الفارغة فقد وجدت عقولاً مهزوزة ومهزومة فكريًا صدقتها بل آمنت بها وقاتلت من أجل نشرها وتلقينها للنشء في كافة مراحل التعليم.

ان هذه القوانين الوضعية المستوردة والمفروضة هي قوانين الدولة الرومانية عليها مسحة من النصرانية وان هذه القوانين لم تمنع أبناء الإسلام الأوائل، الذين طبقوا الإسلام منهج حياة وتشريع وقضاء، ليس من هزيمة الدولة الرومانية فقط بل هدمها، وزالت الإمبراطورية الرومانية من الوجود في أعوام قليلة ولم تحم هذه القوانين

إمبراطوريتها من الهزيمة ولا من الانهيار، كما أن هذه القوانين لم تمنع الهزيمة المنكرة للدول الأوروبية في الحروب الصليبية.

إن تأخر المسلمين ليس راجعًا للتشريع والقوانين الإسلامية، فالشريعة الإسلامية أفضل وأسمى من أي قانون وضعي وقد شهد بذلك كبار من علماء القانون في العالم الغربي.(...) ولو كانت هذه الفرية صادقة لكانت الدول العربية والإسلامية التي طبقت القوانين الوضعية، قد بلغت حاليًا درجة كبيرة في التقدم والرقي وكانت تنافس أوربا حاليًا في النهضة والتقدم العلمي ولكن العكس هو الذي حدث حيث أصبحت من دول العالم الثالث النامي.

يردد البعض بأن الشريعة الإسلامية (لا تصلح للعصر الحاضر). وهم فريقان الأول لم يدرس القانون ولا الشريعة الإسلامية والثاني درس القانون دون الشريعة الإسلامية، وكلا الفريقين ليس أهلاً للحكم على الشريعة الإسلامية لجهله بأحكامها ومن جهل شيئًا عاداه، وبالتالي لا يصلح للحكم عليه لسببي الجهل والعداوة، وهم يبنون رأيهم الخاطئ على قياس خطأ وليس على دراسة علمية منظمة، لاعتقادهم أن القوانين الوضعية حاليًا لا تمت بصلة إلى القوانين القديمة التي كانت مطبقة حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وأن القوانين الوضعية الحديثة قائمة على نظريات فلسفية واعتبارات اجتماعية وإنسانية لم تكن موجودة في القوانين القديمة، وبالتالي فهي لا تصلح للعصر الحاضر لفقدانها الأسس التي تقوم عليها القوانين الحديثة، ويبنون على ذلك استنتاجًا خاطئًا باعتبار الشريعة الإسلامية من قوانين الماضي التي تفتقد الأسس والنظريات والفلسفيات، فهذا القياس فاسد وخاطئ لأنه قياس بين مختلفين من عدة أوجه. من حيث المصدر فالشريعة الإسلامية مصدرها الله – سبحانه وتعالى– خالق الخلق، الذي لا يعتريه النقص والنسيان، بخلاف البشر الذين فطروا على النقص والطغيان والنسيان، ومن حيث الطبيعة فالشريعة الإسلامية إلهية المصدر أي عبادة وتشريع وحياة، فلا يجوز ولا يصح قياس ومقارنة الناس برب الناس، فالخلافات جوهرية وعميقة، فلا تصح المقارنة ولا القياس فالمقارنة فاسدة والقياس باطل.

ان النشأة الأولى للقوانين الوضعية بدأت مع تكوين الأسرة والقبيلة فكلمة رب الأسرة كانت قانون وكلمة شيخ القبيلة كانت قانون، وظل القانون يتطور مع الجماعة حتى تكونت الدولة، ومع اختلاف عادات الأسر فيما بينها وتقاليد القبيلة مع غيرها من القبائل الأخرى، فقد عمدت الدولة على توحيد العادات والتقاليد وجعلت منها قانونًا ملزمًا لكافة الأفراد والأسر والقبائل الداخلين في نطاقها، ولذلك كانت لكل دولة قانون يختلف عن غيرها من الدول.

(...)

يتقبل الناس التشريع حين يدخل إلى قلوبهم ونفوسهم

أما الشريعة الإسلامية فهي تختلف من حيث النشأة مع القوانين الوضعية فلم تكن قواعد قليلة ثم نمت وتطورت ولا مبادئ متفرقة ثم تجمعت ولا نظريات أولية وتهذبت، ولم تتطور الشريعة الإسلامية مع تطور الجماعة البشرية، أنما نشأت وولدت شابة كاملة مكتملة شاملة من عند رب العالمين –سبحانه وتعالى– فهي كاملة بكماله وخالدة بخلوده، فهي صالحة لكل زمان ومكان على مر العصور للأفراد والجماعات والدول، فقد جاءت الشريعة الإسلامية من يوم مولدها بأحدث وأكمل النظريات التي منها ما وصلت إليه القوانين الوضعية أخيرًا ومنها ما لم تصل إليه القوانين الوضعية حتى الآن، مما يعني عدم وجود مقارنة أو مماثلة أو قياس فالاختلافات أساسية وجوهرية بين الشريعة الإسلامية وبين القوانين الوضعية.

الاختلافات الأساسية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

تختلف الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية من عدة وجوه:

١ – الشريعة الإسلامية من عند الله – سبحانه وتعالى – والقوانين الوضعية من صنع البشر، (...) وحيث أن الأفعال والتصرفات تأخذ صفات المصدر فإن الشريعة الإسلامية تكون كاملة مكتملة خالدة صالحة لكل زمان ومكان على مر الدهور، فهي كاملة بكماله – سبحانه وتعالى – خالدة بخلوده، أما القوانين الوضعية فهي تحمل صفات البشر وطبائعهم فهي ناقصة منقوصة بنقص الإنسان مؤقتة بحياته وظروفه ومحددة بقصر نظره وعصره.

نصوص الشريعة عامة ومرنة تلبي كافة المجتمعات

٢ – القوانين الوضعية مؤقتة وضعت لمرحلة معينة وظروف معينة ومع تغير الظروف والعلاقات بين الجماعات البشرية، فالحياة متغيرة متطورة بينما القوانين الوضعية المفروض فيها الثبات، ولذلك فهي ثابتة تحكم متغير وبالتالي فهي لا تساير التطورات والتغيرات في المجتمعات وبالتالي فهي مشوبة بالنقصان وغير مكتملة الأركان، بينما الشريعة الإسلامية وضعها خالق الزمان والمكان، الذي بيده مجريات الأحداث والواقع والوقائع، فهي لذلك تساير التغييرات والتطورات التي تحدث في المجتمعات البشرية كما أنها تستوعب المستجدات المستقبلية التي يمكن أن تحدث في المجتمعات البشرية.

الشريعة دين وقانون معا

٣ – نصوص الشريعة الإسلامية تتصف بالمرونة والعموم بحيث تتسع لحاجات الجماعة على مر الدهور، وتستوعب التغييرات والتطور، كما أن قواعد الشريعة الإسلامية ونصوصها من السمو والارتفاع بحيث أنها لا يمكن أن تتأخر في أي مكان أو زمان أو تنخفض عن مستوى الجماعة البشرية.

٤ – أن الشريعة وضعت لتنظيم وتوجيه البشر لذلك فهي دين وقانون، فالجماعة البشرية خاضعة للشريعة الإسلامية، بينما القوانين الوضعية وضعت لتنظيم الجماعة لذلك فالقانون الوضعي تابع للجماعة وخاضع لها ولتطوراتها.

٥ – الجزاء في الشريعة الإسلامية في الدنيا والآخرة، بينما الجزاء في القوانين الوضعية دنيوي فقط، إن الشريعة الإسلامية تتصل قوانينها بقانون السلوك الإنساني العام، وأحكامها تتفق مع قانون الأخلاق والفضيلة، وعقابها دنيوي وأخروي فالأفعال الظاهرة يعاقب عليها بعقوبة دنيوية والأفعال غير الظاهرة يكون عقابها أخروي أمام الله سبحانه وتعالى، لذلك اتصلت الشريعة الإسلامية بالضمير الإنساني والوجدان، واتصال الحكم الدنيوي بالضمير الديني يشعر الإنسان أنه في رقابة مستمرة، من ربه سبحانه وتعالى، وذلك يعد أهم مانع نفسي وروحي من الجرائم، مما جعل مرتكب الجريمة سرًا يذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلب منه أن ينفذ عليه العقوبة ويقيم عليه الحد بوازع من ضميره وحسه الإيماني الذي خلقه ونماه فيه الخالق سبحانه وتعالى، بخلاف القوانين الوضعية فإن المجرم إذا لم يكتشفه أحد أفلت من العقاب وأزداد ضراوة وإذا دخل السجن مدة طويلة أو قصيرة فأنه يزداد خبرة في الإجرام، فالعقوبات في القوانين الوضعية غير مانعة للجريمة.

فالعقوبات في الشريعة الإسلامية تعمل على منع الجريمة بثلاث طرق هي:

١ – التهذيب النفسي وتربية الضمير، فقد هذب الإسلام النفس الإنسانية بالعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج لبيت الله الحرام، مما يجعل العبد المسلم يألف ويؤلف، يرى نفسه من ومع وإلى الجماعة التي يعيش في وسطها وكنفها وبالتالي فهو يعمل لصالحها وعلى حمايتها حتى من نفسه.

٢ – تكوين رأي عام فاضل عماده وأساسه الأخلاق الفاضلة الكريمة لذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسود بذلك خلق الحياء في المجتمع الإسلامي والحياء إحساس قوي بالقيود النفسية التي تجعل للجماعة وما يرضيها مكانًا في النفس

الإنسانية مما يجعل الشخص يحس بسلطان الرأي العام على نفسه، ولذلك حث الإسلام على الحياء ودعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم وأكثر من الدعوة إليه.

٣ – العقوبات الزاجرة والمانعة الرادعة فالعقوبة رادعة للمجرم زاجرة لغيره، فالغاية من العقوبة في الشريعة الإسلامية أمران: حماية الفضيلة وحماية المجتمع من أن تتحكم فيه الرذيلة، والثاني: المنفعة العامة ومصلحة الناس، فالفضيلة والمصلحة وإن بدا بينهما خلاف إلا أنه ظاهري بل هما متلازمان فلا فضيلة بدون مصلحة ولا مصلحة بدون فضيلة، بل أن كثير من علماء الأخلاق يعتبرون مقياس الفضيلة أو الخير هو المصلحة الحقيقية بدون هوى.

٤ – العقوبة شفاء لغيظ المجني عليه وليست للانتقام فشفاء غيظ المجني عليه وعلاجه له أثره في تهدئة نفس المجني عليه فلا يفكر في الانتقام ولا يسرف في الاعتداء وبالتالي تنتشر الجريمة وتتفشى في المجتمع، بالإضافة إلى الحفاظ على الكليات الخمس السابق بيانها. ويعتبر ما سلف خير مانع للجريمة، فالشريعة الإسلامية تتميز عن القوانين الوضعية بالكمال والسمو والمرونة والدوام والثبات والاستقرار، ويرجع ذلك إلى أنها منزلة من عند الله – سبحانه وتعالى– الذي يتصف بالكمال والسمو والقدرة والدوام.

الثواب والعقاب في الشريعة دنيا وآخرة

ثانيا: القصاص

ومن أهم السمات التي يتميز بها الشرع الإسلامي الحنيف عن القوانين الوضعية القصاص كعقوبة للجرائم، والقصاص في الشريعة الإسلامية ثابت وأصيل وله سنده في القرآن والسنة والإجماع، وهو جوهر نظرية العقوبة في الشريعة الإسلامية.

١ – تعريف القصاص

تعددت التعريفات في الفقه الإسلامي للقصاص فلا يوجد فقيه أو مذهب في الفقه الإسلامي إلا وتعرض للقصاص بالبحث والدراسة والتفصيل من بدايته إلى نهايته. (...)

– **التعريف اللغوي للقصاص:** القصاص لغة: المساواة على الإطلاق ومعناه أيضًا التتبع ومنه قصص السابقين بمعنى أخبارهم، (والقصاص مأخوذ من قص الأثر، وهو إتباعه، ومنه القاص لأنه يتبع الآثار، والأخبار، وقص الشعر أثره، فكأن القاتل سلك طريقًا من القتل فقص أثره فيها، ومشى على سبيله فيها، ومن ذلك قوله تعالى □فارتدا على آثارهما قصصا○ [الكهف–٦٤]. وقيل القص القطع، يقال قصصت ما بينهما، ومنه أخذ القصاص، لأنه يجرحه مثل جرحه.

– **المعني الشرعي أو الاصطلاحي:**

والمقصود بالقصاص في الشرع (أن يعاقب المجرم بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح)، وهو (عقوبة مقدرة ثبت أصلها بالكتاب، وثبت تفصيلها بالسنة، وهو المساواة بين الجريمة والعقوبة).

ويوجد بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي تناسب، لأن القصاص يتتبع فيه الجاني، فلا يترك بدون عقاب، ولا يترك المجني عليه من دون أن يشفي غليله. والقصاص هو عقوبة الدماء بشكل عام سواء أكانت دماء موضوع الاعتداء فيها النفس أم كان اعتداء موضوعه طرف من الأطراف، أم كان اعتداء موضوعه جرح من الجروح، وضمان المتلفات، أي التعويض بالمثل في الأموال والأسواق، والقصاص موجود في كل العقوبات الإسلامية غير الحدود، وهناك قصاصًا قدره الشارع بالنص، وقصاصًا آخر لم يحدده الشارع، وترك تحديده لولي الأمر.

٢ – أنواع القصاص

وقد قسم الفقهاء القصاص إلى قسمين، قصاص صورة ومعنى وقصاص معنوي فقط. فالأول مفاده أن ينزل بالجاني من العقوبة المادية مثل ما أنزل بالمجني عليه، وهذا النوع هو الواضح والظاهر من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهو الأصل في القصاص، والثاني قصاص معنوي وهو دية ما أتلف بالجناية، وهو

عبارة عن العقوبة المالية على الاعتداء على الجسم بالجرح والشج، وهذا القصاص المعنوي الذي يوجد في حالة عدم تعذر الوصول إلى القصاص الأصلي لأنه غير ممكن في ذاته كجرح لا يمكن المماثلة فيه، وفي حالة عدم توافر شروط القصاص الحقيقي، وفي حالة وجود شبهة تدرأ بها العقوبة، أي أنه في حالة سقوط القصاص الأصلي الصورة والمعنى وجب القصاص المعنوي.

ومن حيث نوع الجريمة قسم الفقهاء القصاص إلي نوعين هما:

١ – قصاص في النفس، أي قتل النفس، عمدًا أو شبهة عمد.

٢ – قصاص فيما دون النفس، أي في الأطراف والجروح.

من التعريفات السابقة للقصاص يتبين لنا أن القصاص جزاء وفاقًا للجريمة. فالجريمة اعتداء على النفس الإنسانية، فمن العدالة أن يؤخذ المجرم بجريمته بمثل فعله، وليس من المعقول أن نفكر بالرحمة بالجاني ولا نفكر في ألم المجني عليه وشفاء غيظه، فالقصاص يحمي حياة الناس لأن القاتل إذا حرم أحد من الحياة فأنه يحرم منها.

القصاص تتبع للجاني

ثالثاً – الأساس الشرعي للقصاص

القصاص ثابت في الشريعة الإسلامية بالنص عليه في القرآن الكريم والسنة النبوية وفي فعل الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم وفي إجماع الأمة:

١ – القصاص في القرآن الكريم:

ورد النص على القصاص في القرآن الكريم في عدة آيات هي:

– في قوله تعالى ﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ* [١٧٨] *وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* [١٧٩]﴾[سورة البقرة].

– وفي قوله تعالى: ﴿*مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ*﴾[المائدة–٣٢]

– وفي قوله تعالى ﴿*وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ* [٤٥]﴾[المائدة].

– وفي قوله تعالى:﴿*وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا*﴾ [النساء–٩٢].

– وفي قوله تعالى: ﴿*وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا*﴾[الإسراء–٣٣].

٢ – القصاص في السنة النبوية الشريفة:

وردت أحاديث في السنة النبوية الشريفة دعت إلى الأخذ بالقصاص وحثت عليه أي في السنة القولية، وهناك من السنة الفعلية ما أخذ بذلك بالفعل، ومن الأحاديث النبوية ما يلي:

– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من قتل قتلناه) وقوله صلى الله عليه وسلم (كتاب الله القصاص) وقوله عليه الصلاة والسلام(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث، الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة). متفق عليه.

– وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(مَن قتل عبده قتلناه ومَن جدع عبده

جدعناه)[رواه أحمد والأربعة].

– وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن جارية وجد رأسها قد رض بين حجرين فسألوها: مَن صنع بك هذا؟ فلان حتى ذكروا يهودياً فأومأت برأسها فأخذ اليهودي فأقر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرض رأسه بين حجرين. [متفق عليه].

– وعن أنس رضي الله عنه: أن الرُّبَيع بنت النضر عمته كسرت ثنية جارية، فطلبوا إليها العفو فأبوا، فعرضوا الإرث فأبوا، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبوا إلا القصاص فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله أتكسر ثنية الربيع؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أنس كتاب الله القصاص، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (إن من عباد الله مَن لو أقسم على الله لأبره).[متفق عليه].

القصاص جرح الجاني مثلما جرح

– وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:(من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يفتدي وإما أن يقتل) وقال أيضًا(من أصيب بدم أو خبل فهو بالخيار بين إحدى ثلاث: إما أن يقتص، وإما أن يأخذ العقل، وإما أن يعفو، فأن أراد برابعة فخذوا على يديه).

٣ – الإجماع:

وعليه إجماع الأمة والأئمة بلا خلاف، وعليه إجماع الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

رابعاً – حكم القصاص

فرض الإسلام القصاص حتى لا تنتشر الفوضى والاضطرابات في المجتمع، ولإبطال ما كان عليه الجاهليون قبل الإسلام من حروب بين القبائل يموت فيها الأبرياء الذين لا ذنب لهم ولا جرم، فجاء الإسلام وبيَّن أن كل إنسان مسؤول عما ارتكبه من جرائم، وأن عليه العقوبة وحده، لا يتحملها عنه أحد.

يأخذ القصاص في الشريعة الإسلامية حكم الفرض الثابت فقد جاء في القرآن الكريم (كتب عليكم القصاص) فهو في منزلة الصيام والجهاد من حيث الحكم فقد جاء في القرآن الكريم ﴿***كتب عليكم الصيام***﴾ (البقرة:١٨٣) ﴿***وكتب عليكم القتال***﴾ البقرة:(٢١٦) وقال تعالى في سورة النساء الآية(١٠٣) ﴿***إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا***﴾ أي أنه من الفروض الثابتة.

تتضمن الآية(١٧٩) من سورة البقرة ﴿***ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب***﴾ الحكمة من القصاص في معان بلاغية هي:

١ – جعلت فائدة القصاص عامة تشمل المجتمع كله ولم تقصره على ولي الدم وحده (المجني عليه) بدليل قوله تعالى في بداية الآية (ولكم) فالقصاص ليس انتقامًا لفرد ولكن للمحافظة على حياة الجماعة والمجتمع المسلم كله.

٢ – أطلاق لفظ (القصاص)على العقوبة فيه حكمة أبلغ من العدالة لأن القصاص يتضمن المساواة بين الجريمة والعقوبة، مما يعد معه القصاص مانعًا قويًا وسدًا منيعًا للجريمة، وبذلك يحيا المجتمع حياة هادئة هانئة مستقرة وتنعدم الجريمة في المجتمع، وهذه غاية لم تصل إليها النظم القانونية الوضعية حتى الآن، فالسياسة العقابية في أي نظام قانوني تهدف للمساواة بين الجريمة والعقوبة.

٣ – يتبين من الآية أن حياة الجماعة في القصاص، لأن عدم وجود القصاص يؤدي إلى اهدار الدماء وكثرة القتل في المجتمع، مما يؤدي إلى الفوضى في المجتمع، مما يهدد حياة الجماعة ويهددها بالفناء.

٤ – تشير الآية أن الحياة التي تستحق أن يطلق عليها حياة هي الحياة الهادئة المستقرة وهي التي تتحقق بالقصاص، والدليل على ذلك أن كلمة (حياة) جاءت في الآية نكرة والتنكير هنا للتفخيم والتعظيم.

٥ – أن هذه الحكمة البالغة والغاية العظيمة لا تدركها إلا العقول النيرة السليمة التي تعرف جيدًا مصلحة الجماعة، فالخطاب في الآية الكريمة لأولي الألباب فقال

تعالى ﴿**يا أولي الألباب**﴾ وهم أصحاب العقول التي خلصت وبرأت من الأهواء والشهوات.

٦ – تعتبر هذه الآية ردًا بليغًا على دعاة إلغاء عقوبة الإعدام، وتعضدها وتساندها وتؤكدها الآية (٣٢) من سورة المائدة، لأن إلغاء هذه العقوبة يعني كثرة القتل في المجتمع وانتشار الفوضى مما يؤدي إلى انهيار هذه المجتمعات، فلا خوف من الحرمان من الحياة وبذلك تنتشر الجرائم الخطيرة التي تهدد كيان المجتمع كله.

ونص الآية: ﴿***مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ***﴾.

هذه الآية نزلت في حادثة قتل قابيل على يد أخيه هابيل أبني آدم، والعلاقة بينها وبين القصاص بيان الداء والعلاج معاً، فالداء هنا في حادثة القتل الحقد والحسد وفقد العواطف الإنسانية النبيلة عند القتل، مما يعني أن القاتل قطع كل الروابط التي تربطه بالجماعة بإقدامه على القتل، مما يجعله عنصر تدمير وفساد في المجتمع، لذلك ينبغي أن يكون الدواء من جنس الداء عن طريق إبعاده عن المجتمع وحرمانه الحياة كما حرم المقتول من الحياة، لذلك يجب بتره من المجتمع.

والآية الكريمة تبين أن الاعتداء على النفس هو الجريمة بدون تفضيل في الأنفس سواء أكانت نفس طفل أو رجل أو امرأة، كما لا يهم اللون أو المكانة أو الوظيفة أو الحسب والنسب، فمناط الحماية في الآية الكريمة هي النفس الإنسانية ذاتها، مما يدل على أن الشريعة الإسلامية تحمي النفس الإنسانية ولا تهدرها بدون حق أو سبب، وتأكيدًا على ذلك جعلت الآية قتل نفس واحدة مساوية لقتل الناس جميعًا فقال تعالى: ﴿***فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا***﴾ التشبيه هنا يدل على اهتمام الإسلام بالنفس الإنسانية وعظم جريمة القتل، فحق الحياة مقدس وهو حق ثابت لكل فرد في المجتمع بقدر متساوي، لذلك عدت الآية قتل نفس بمثابة قتل كل الأنفس وتعادل قتل الناس جميعًا لأنه تعدي على الإنسانية كلها.

وتأكيدًا على أن القصاص حياة قال تعالى في هذه الآية ﴿***وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا***﴾ ويدل ذلك على أن القصاص من القاتل يعني إحياء لحياة المجني عليه، باحترام دمه وعدم ضياعه هدرًا، وبالتالي تتحصن حياة كل نفس في المجتمع وتحمى وتحيى، لأن القصاص فيه ردع عام للمجتمع فمن عرف أنه إذا قتل سوف يقتل فأنه يحفظ ويحافظ على حياته وحياة غيره، وقد أشارت هذه الآية إلى الغاية الحقيقية من القصاص وهي المحافظة على حياة الأفراد في المجتمع، هذا بشأن القصاص في القتل.

لا يحق لغير الحاكم أن يقيم الحد

ولكن القصاص يوجد أيضًا في الأطراف وليس في القتل وحده، وبينت ذلك ونصت عليه الآية(٤٥) من سورة المائدة فقال تعالى ﴿***وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ***﴾.

وقد أجمع فقهاء الإسلام من عهد الصحابة إلى عصر الأئمة المجتهدين وبإجماع الأمة على أن القصاص فرض فيما دون النفس ومكتوب إذا أمكن، بدليل النص عليه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لأن ما دون النفس(الأطراف) يجب المحافظة عليه والقصاص يحافظ عليه، والقصاص يجب في كل الأطراف وليس في الأطراف المذكورة صراحة في الآية(٤٥) السالفة، بدليل قوله تعالى(وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ).

وقد أخذ بعض القانونيين على القصاص فيما دون النفس بعض الانتقادات هي:

١ – يؤدي الأخذ به إلى كثرة المشوهين في المجتمع، مما يعيق العمل وينقص من القدرة البشرية في المجتمع.

٢ – أنه ليس عقابًا بل انتقامًا، وغاية القوانين الإصلاح وليس الانتقام.

٣ – لا يندر المساواة في قطع الأطراف، حيث يمكن قطع اليد القوية باليد الضعيفة.

هذه الانتقادات غير صحيحة بل هي مغرضة لما يأتي:

١ – أن القصاص في الأطراف لا يكثر المشوهين في المجتمع بل العكس هو الذي يحدث، لأن الإنسان إذا عرف أنه إذا أقدم على قطع يد آخر فان يده ستقطع، فأنه لن يقدم على هذا الفعل، مما يتحقق معه منع الجريمة وليس زيادتها كما يدعي هؤلاء.

٢– أن القصاص في الأطراف ليس انتقامًا لأن الانتقام ليس فيه مساواة بين الجريمة والعقوبة بل مساواة حقيقية بينهما كما أن الانتقام يكون من المجني عليه وليس من ولي الأمر(الحاكم أو من ينوب عنه)، والقصاص يقوم به ولي الأمر وليس المجني عليه.

٣ – مناط الحماية في القصاص فيما دون النفس أي في الأطراف والجروح هي سلامة الأعضاء وليس التساوي في القوى الطبيعية، أي قوتها، فقد تكون يد ضعيفة في نظر الناس ولكنها في نظر صاحبها قوية، تؤدي دورها في حياته كاملة، كما هو الحال مع الأقوياء الأصحاء، لأن أساس القصاص المساواة في الأنفس البشرية فالناس متساوون أمام التشريع الإسلامي.

وعلى ذلك لا يجب ولا يصح أن يكون هناك تفاوت بين الناس في القصاص، وقد أكد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم) فالمساواة في القصاص تكون في الأنفس والأعضاء والدماء، فلا تفرقة بين الناس في الأوصاف سواء كانت أوصافًا ذاتية فلا فرق بين لون ولون، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح) وقال أيضًا (الناس سواسية كأسنان المشط).(...)

خامساً– القصاص في غير القتل والقطع والجروح

يُشرع القصاص في اللطمة والضربة والسبة وغير ذلك بشرط المساواة(...).

وكذلك القصاص في إتلاف المال: فمن أتلف مال غيره، كأن هدم له داره أو غير ذلك، يقتص منه بأن يهدم داره وهكذا، وقال بعض الفقهاء: إن هذا القصاص غير جائز، وإن على المعتدي أن يدفع مثل ما أفسده أو قيمته.(...)

سادساً – موانع القصاص في القتل

توجد موانع للقصاص في القتل وهي على تعددها مختلف فيها بين الأئمة المجتهدين،(...).

ولا يقتل القاتل إلا بعد أن يؤخذ رأي أهل القتيل فيه، فإن طلبوا قتله قتل وكان القتل كفارة له، وإن عفوا عنه عفي عنه. وأخذت منه الدية، وعليه الكفارة وهى عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فعليه صوم شهرين متتابعين، قال تعالى: ﴿*وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا* [٩٢]﴾، [سورة النساء].

سابعاً – ما يثبت به القصاص وشروطه

يثبت القصاص باعتراف القاتل، أو بشهادة رجلين يعرف عنهما الصلاح والتقوى وعدم الكذب؛ يشهدان أنهما قد رأيا أو شاهدا القاتل وهو يقتل، (...) فإن ثبت القتل بالشهادة وجب حد القصاص على القاتل، فإن عفا عنه أولياء القتيل أو بعضهم؛ لا يقام عليه الحد، وعليه دفع الدية.(...)

ثامناً – من يُنفِّذ القصاص

لا يحق لأحد إقامة القصاص إلا الحاكم أو من ينوب عنه. فلا يحل لولي القتيل أن يقتل القاتل حتى لا تنتشر الفوضى.(...) والحمد لله رب العالمين.

---

* خبير في القانون الدولي. وللراغبين بمتابعة البحث بمراجعه العودة إلى الموقع: www.quran-m.com

الدود يشفي الأحياء ويأكل الأموات...

بروفيسور: محمد هاشم عبد الباري

كلما هرمت المجتمعات الإنسانية كلما كانت أعداد المرضى الذين يعانون من الجروح المزمنة التي يمكن إرجاعها إلى أمراض مثل السكري وأمراض الأوعية الدموية السطحية في ارتفاع. إن ذلك يشير إلى تأثيرهم الجوهري على نظام الرعاية الصحية بسبب الاهتمام المتأصل المطلوب وتكاليفه المرتبطة به.

ولا يتقدم الجرح المزمن خلال الأطوار الأربعة المتداخلة لالتئام الجروح. ولكن بدلا من ذلك فانه من المألوف أن يتوقف عند طور الالتهاب، بسبب وجود النسيج المتحلل وأنقاض النسيج الميت والتلوث. إن أسس العلاج التقليدية للجروح الحادة والمزمنة تتضمن تنظيف وتطهير الجرح ووضع الضمادات. ويتضمن تنظيف وتطهير الجرح إزالة الأنسجة الميتة والإفرازات والمواد الغريبة والبكتريا بدرجة تسمح بحدوث المراحل الطبيعية لالتئام الجرح. إن استعمال المواد الضمادية يمنع التلوث الموضعي لمكان الجرح ويساعد على التخلص من الافرازات ويمنع العدوى.

ولقد تفانت بحوث كثيرة لتطوير براعات وتقنيات لزيادة وتعزيز وحث أو استعجال عملية التئام الجروح، متضمنة عوامل لنمو المحفزات المناعية غير المتخصصة أو عوامل مساعدة، ومنتجات الأنسجة المهندسة، والعلاج بالأكسجين المضغوط– Hyper baric oxygen the apy ، والعلاج بالضغط السالب – Negative pre sure wound therapy . وكطريقة بديلة للجراحة فان العلاج بتنظيف وتطهير الجرح بالديدان Maggot debridement therapy أظهرت أنها تعطى تنظيفًا وتطهيرًا سريعًا وفعالاً للجروح المزمنة وعلى ذلك فإنها تحث وتستعجل عملية التئام الجرح وتقلل التكاليف الإجمالية للعملية.

نظرة تاريخية

إن استخدام الدود في لأم الجروح قد تم توثيقه جيدًا عبر القرون في ثقافات مختلفة بما فيها التراث الصيني. إن الآثار النافعة لاستخدام يرقات الذباب في الجروح لوحظت للمرة الأولى بواسطة أمبرويز بارى في عام (١٥١٧ – ١٥٩٠). وعندما كان يعالج جروح المعارك في جيش نابوليون لاحظ رئيس الجراحين البارون دومينيك لارى ١٨٢٩ أن الديدان أدت إلى زيادة تكوين النسيج المحبب granulation . وأول تطبيق سريري للعلاج بالديدان كان قد أجري بواسطة كل من ج. ف. زخارياس JF Zacharias وج. جونز J. Jones عام (١٨٦١–١٨٦٥) خلال الحرب الأهلية الأمريكية. وفيما بعد قام جراح العظام ويليام بير William Baer عام ١٩٢٨ خلال الحرب العالمية الأولى بتهذيب التقنية باستخدام ديدان معقمة لمنع تلوث الجرح بالديدان.

ولقد أصبح العلاج بالدود أكثر شعبية وشيوعًا بطريقة متزايدة، واستخدم بتوسع لعلاج الجروح المزمنة الملوثة عبر أمريكا وأوربا خلال ثلاثينات القرن العشرين. فلقد استخدم ذلك العلاج حتى منتصف الأربعينات في أكثر من ٣٠٠ مستشفى في الولايات المتحدة. وبإدخال والتوسع في استعمال المضادات الحيوية في أربعينات القرن العشرين تضاءلت شعبية علاج الجروح بالدود تدريجيًا ونسيت إلى حد كبير في الوسط الطبي.

وعلى كل حال فانه بارتفاع حوادث مقاومة المضادات الحيوية في أواخر التسعينات فقد تجدد الاهتمام بالدود واستعماله القوي في التعامل مع الجروح المزمنة.

وفى دراسة نشرت عام ١٩٩٩ في مجلة ديرماتولوجى تم تطهير وتنظيف ٣٨ جرحًا تنظيفًا تامًا لدى ٢٥ مريضًا بنسبة ٨٨,٤ ٪ وفى ثلاثة جروح (٧٪) كان التطهير جوهريًا وكان التطهير جزئيًا لدى مريض واحد (٢,٣٪) وبقي مريض واحد كما هو (٢,٣%).

أي دود ؟؟

هي يرقات ذبابة تسمى في الغرب بذبابة الزجاجة الخضراء ونسميها عندنا بالذبابة الزرقاء ولكنها عمليًا تسمى بذباب المقابر وهي في حجم الذبابة المنزلية تقريبًا ولونها أخضر معدني واسمها العلمي «ليوسيليا سيريكاتا» Lucilia sericata وهي الأكثر شيوعًا في الاستخدام لالتئام الجروح المزمنة. هذه الذبابة تتبع رتبة حشرات ذات الجناحين.فهي لها زوج واحد فقط من الأجنحة، وهى قادرة على إصابة العوائل الحية من الحيوان والإنسان وتتطفل على أنسجته. يرقاتها (ديدانها) ذات ١–٢ ملليمتر في الطول عندما تفقس من البيض في غضون ١٢–٢٤ ساعة من وضعه. تتغذى على الأنسجة الميتة والمتحللة في البيئات الرطبة للجروح. وتنمو سريعًا وتنضج في ٤–٥ أيام حيث يصل طولها إلى ١سم ثم بعد ذلك تتحول إلى خادرات (عذارى) ساكنة ثم تصبح ذبابًا يافعًا.

تنظيف و تطهير الجروح بالديدان

اليرقات التي تستعمل في ذلك العلاج تحتاج إلى تعقيم لمنع التلوث. ولذلك يجب أن تربى في بيئة رطبة محكمة ومعقمة. اليرقات حديثة الفقس يجب أن تستعمل خلال ٨ ساعات من الفقس أو تخزن في الثلاجة على درجة ٨–١٠ مئوية لإبطاء عمليات الأيض فيها ونموها إلى حين استعمالها. ولتعظيم عملية التطهير والتنظيف فانه من المهم التأكد من انتظام درجة حرارة المريض صاحب الجرح على الدرجة المثالية والإمداد المناسب بالأكسجين والرطوبة المناسبة، لأن الرطوبة الزائدة عن الحد قد تقتل اليرقات. ويجب أن نتجنب استعمال الضمادات الماصة لأن اليرقات تحتاج الأكسجين لتبقى حية. ضمادات الهيدروجيل hydrogel (وهى التي تتكون من مادة بوليمر من الجيلاتين المائي) التي تحتوى على البروبيلين جليكول يمكن أن تحد من نمو وحيوية الدود، بينما المضادات الحيوية الجهازية (التي تسري في الدم والأنسجة)لاتؤثر على نمو تلك الديدان أو اليرقات.

آليات العلاج بالتنظيف والتطهير بالدود:

التنظيف:

افترض العلماء في بادئ الأمر بأن التأثير أو الفعل المطهر للدود كان يرجع إلى ميكانيكية حركات التلوي والتمعّج. وتستعمل الديدان زوج من الفكوك الخطافية للتحرك والتعلق أو الارتباط بالجرح، وكان يعتقد أن التغلغل بالخطاطيف قد يساعد في تنظيف الجرح. ولكن حديثًا أمكن التعرف على ثلاثة فئات من الإنزيمات التي تحلل البروتين والتي تسمى Proteolytic enzymes « بروتيوليتيك انزايمز» في إفرازات ومخلفات الديدان. هذه الإنزيمات تحلل المواد الموجودة خارج خلايا نسيج الجرح بكفاءة واقتدار بما فيها صبغة الميلانين – Mel nin (التي تعطى لون البشرة الأسمر) والفيبرونكيتن Fibronectin وهو البروتين السكري (الجليكوبروتين) الثقيل الذي يوجد فى صورة ألياف غير ذائبة خارج الخلايا في الإنسان والحيوان. وعلى ذلك فان إفرازات وفضلات الدود تستطيع أن تهضم مواد الجرح التي بين الخلايا والتي تسمى ماتريكس Matrix مما يؤدى إلى تنظيف وتطهير فعال للجرح المزمن.

التطهير:

إن وجود المواد المضادة للبكتريا أمكن تحديده من زمن طويل في إفرازات ومخلفات الدود. ولذلك فان لإفرازات ومخلفات ذلك الدود تأثير قاتل على البكتريا الموجبة لصبغة جرام والسالبة لصبغة جرام على السواء، بما فيها البكتريا المستعصية المقاومة للمضاد الحيوي ميثيسللين – M thicllin وهى «ستافيلوكوكاس أورياس «– Staphil

coccus aureus والتي يرمز لها بالاختصار MRSA وكذلك بكتريا «ستافيلوكوكاس أورياس» الحساسة للميثيسللين والبكتريا «ايشيريشيا كولاى – Escher chia coli» وكذلك بكتريا «سودوموناس ايروجينوزا «Pseudomonas aeruginosa".

هذا النشاط الجبار الهائل لإفرازات ومخلفات الدود يعتبر ثابتًا حراريًا، ومقاومًا لإنزيمات هضم البروتين. وباستخدام الترشيح بالغ الدقة أثبتت الدراسة وجود جزأين من تلك الإفرازات والمخلفات لهما تأثير قاتل على كل من بكتريا «ستافيلوكوكاس أورياس» الحساسة والمقاومة. ويعتقد أن الأمونيا التي يفرزها الدود تزيد من قلوية الجرح وبذلك تخلق بيئة غير مريحة وغير ملائمة للنمو البكتيري.

وبناء على افتراضات أخرى فان الدود يبتلع البكتريا ويقتلها داخل جهازه الهضمي. ولقد تتبع مامكوجلو ورفاقه (٢٠٠١) مصير بكتريا «ايشيريشيا كولاى» بعد ابتلاعها بواسطة دود (يرقات) ذبابة المقابر «ليوسيليا سيريكانا». وقد وجدوا أن الجزء الأمامي من القناة الهضمية كان أكثر احتواء على تلك البكتريا الحية حيث شكلت نحو ٦٧٪ من مجموع البكتريا، ثم تتهاوى الأعداد فجائيًا كلما تحركت البكتريا نحو العمق في القناة الهضمية للديدان. فكان ١٨% فقط من الجزء الخلفي للقناة الهضمية للدود يحتوى على بكتريا حية.،ذلك مما يدل على أن البكتيريا يتم قتلها كلما توغلت فى القناة الهضمية للدودة.

تمكين التئام الجرح

لقد كان يعتقد أن التعزيز في نمو النسيج كان يرجع إلى زيادة تكاثر الخلايا الليفية البشرية (الفيبروبلاست Fibroblast) والتي تسببها إفرازات ومخلفات الديدان. وقد أوضح هوروبين ورفاقه عام ٢٠٠٥ أن تلك الإفرازات والمخلفات غيّرت من الخيوط اللاصقة الناشئة من الالتهاب إلى الكولاجين Collagen وهو بروتين النسيج الليفي، والفيبرونكيتين Fibronectin وهو البروتين السكري (جليكوبروتين) الثقيل الذي يوجد في صورة ألياف غير ذائبة. ويترتب على ذلك أنها زاد ت من هجرة (وليس تكاثر) الخلايا الليفية البشرية. ويرجع ذلك بصفة رئيسية إلى فعل السيرين وهو حامض أميني – وإنزيمات تحليل البروتين . البروتينيزات. ويفترض آخرون أن الدود يفرز سيتوكينات – Cyto ines – وهى بروتينات تنتج بواسطة الخلايا وتتفاعل مع خلايا الجهاز المناعي لتنظيم استجابات الجسم للأمراض والتلوث وهى تعمل كوسيط للعمليات الخلوية الطبيعية في الجسم – والتي تساعد في التئام الجرح. ولقد وجدت مستويات عالية من جاما–انترفيرون ومن انترليوكين ١٠ في إفرازات ومخلفات الدود، ولكن معرفة إلى أي مدى تعتبر تلك السيتوكينات مسئولة عن زيادة تكوين الحبيبات – وهو تكوين كتل مستديرة صغيرة من النسيج خلال الالتئام – يحتاج إلى المزيد من الدراسة. (جاما–انترفيرون Gamma–interferon) هو شكل من الانترفيرون تنتجه خلايا الدم البيضاء التي تسمى T–cells أو الخلايا التائية ذات الأهمية القصوى في الجهاز المناعي. وهى مثل الجنود التي تبحث عن الغزاة وتدمّرهم ، وتنتجه كذلك خلايا الدم البيضاء الكبيرة التي تهاجم البكتريا. وهو يدخل في تنشيط الخلايا الآكلة. والانترفيرون هو بروتين مضاد للفيروس تنتجه الخلايا التي يهاجمها ويجتاحها الفيروس، وهو يوقف تضاعف الفيروس.

إشارات إلى علاج التطهير بالدود

تستعمل طريقة علاج التطهير بالدود لتنظيف وتطهير الجروح المزمنة المتعفنة ذات الأنسجة الميتة والملوثة. الدراسات السريرية المختلفة أوضحت كفاءة ذلك العلاج في معاملة الجروح التي فشلت في الالتئام بعد استخدام الطرق البديلة المختلفة من العلاج. البروفيسور وولينا ورفاقه في مجلة انترناشيونال ديرماتولوجى (٢٠٠٢) أوضحوا أن العلاج بالدود يستطيع سريعًا اختزال تقييم الجروح من متوسط ١٣,٥ إلى ٦,٣ بدرجة احتمال عالية جدا باستخدام الدود لمرة واحدة فقط لمدة من 4–1 أيام.

ولقد حسب تقييم الجروح wound score ونسب إلى غطاء الجروح بالأجزاء المتهالكة المتساقطة والإفرازات، والنزّ ،والرشح من الشعيرات، وتكوين النسيج الحبيبي، والتهاب الجلد المحيط بالجرح. كانت اليرقات فعالة في إزالة الأنسجة الميتة ورائحة التعفن والنّزّ أو رشح الجرح خارج الشعيرات الدموية دون الإضرار بالأنسجة السليمة المجاورة. وأدى فعل اليرقات إلى تنشيط تكوين النسيج الحبيبي، وخفض رائحة التعفن الناجمة عن التلوث.

إن منافع العلاج بالدود ثبت في تشكيله من الجروح المزمنة بالعديد من المراجع والأبحاث. وبظهور أو بزوغ المقاومة للمضادات الحيوية فقد أظهر العلاج بالدود أنه مفيد في جراحات الجروح الملوثة بالبكتريا المقاومة «ستافيلوكوكاس أورياس» بالمقارنة بالعلاج التقليدي بالمداواة بالهيدروجيل. وكان العلاج بالدود أكثر فعالية للقرح الوريدية المزمنة، والقروح السكرية.

وفي دراسة محكمة على قروح القدم السكري وقروح الضغط قسّم ١٤ مريضًا عشوائيًا للخضوع للعلاج بالدود و ١٤ آخرين للخضوع للعلاج التقليدي. فلم يحدث تنظيف وتطهير يذكر بعد ١٤ يومًا في مجموعة العلاج التقليدي، بينما بعد ١٤ يومًا كان هناك متوسط خفض في الأنسجة الميتة قدره ٤,١ سم مربع في مجموعة العلاج بالدود، وإحراز تطهيرًا كاملاً وتامًا في أربعة أسابيع. .

وفي دراسة أخرى على القرح الوريدية قسّم ١٢ مريضًا عشوائيًا لتلقي العلاج بالدود وآخرون لتلقي العلاج التقليدي. ولقد أحرزت مجموعة العلاج بالدود تنظيفًا وتطهيرًا كاملاً بالتطبيق مرة واحدة بالدود في ثلاثة أيام، بينما اثنين فقط من ستة مرضى في مجموعة العلاج التقليدي أحرزوا التنظيف والتطهير الكامل بعد شهر واحد. المرضى الأربعة الآخرون احتاجوا إلى تكرار الضمادات.

وفي قرح الضغط أجريت دراسة على ١٠٣ مريضًا عشوائيًا تحدد علاجهم بالدود أو بالعلاج التقليدي. ولقد أحرز ٨٠٪ من الذين خضعوا لعلاج الدود تنظيفًا وتطهيرًا كاملاً في غضون ٥ أسابيع بينما ٤٨٪ فقط بلغوا ذلك بعد العلاج التقليدي.

هل يعتبر التطهير بالعلاج بالدود مكلفاً؟

أوضح الدكتور وايمان وزملائه – مستشفى غرب كومبرلاند بالمملكة المتحدة– في بحثهم الذي نشر عام ٢٠٠٠ التكاليف المؤثرة لعلاج مرضى قرحة الوريد المزمنة بالدود. ففي دراستهم وجدوا أن متوسط تكاليف العلاج للمريض الواحد في المجموعة المعالجة بالدود كانت ٧٩ جنيها بالمقارنة بمبلغ ١٣٦ جنيه للمريض الواحد بالعلاج بضمادات الهيدروجيل. مجموعة العلاج بالدود استلزمت من المعالجين الطبيين زيارات أقل للوصول إلى التطهير(٣ زيارات) بالمقارنة بمجموعة العلاج بالهيدروجيل (١٩ زيارة)، للدكتور توماس ودكتور جونز – الكلية الملكية للتمريض ببريطانيا – عندما أدخلا تكاليف التمريض في العلاج – نشرا عام ٢٠٠١ اجمالي نفقات العلاج للوصول إلى تطهير ناجح للجرح فكانت ٨٢ جنيها للعلاج بالديدان مقابل ٥٠٣ جنيهاً للعلاج التقليدي.

ويمكن إرجاع انخفاض تكاليف العلاج بالدود إلى قصر الفترة التي تلزم للتطهير بالدود وانخفاض عدد الزيارات والأيام السريرية. والتي أعطت كلها وفراً كبيراً وجوهرياً في نظام الرعاية الصحية.

عزيزي القارئ،

ضع هذه المجلة في المكتب أو في البيت واترك المجال لمن تحب لكي يطّلع عليها. ولا تهملها أو تخزنها باكرًا، فقد يكون لك فيها أجر تذكير الناس بالله عزّ وجلّ. قال تعالى ﴿كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره﴾.

خير خلق الله

بقلم أ.ع.

١٨- أدبه صلى الله عليه وسلم مع الناس

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كريم العشرة، لطيفاً، طليق الوجه، بسّاماً ، يريح الناظر إليه ويحبب الإسلام إلى من أتى ليسمعه أو يراه، يقول عنه الإمام علي رضي الله عنه : (كان صلى الله عليه وسلم أوسع الناس صدراً وأصدق الناس محبة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة).

وكان يصغي كل الإصغاء إلى محدثه، ويسأله ويقبل عليه ويلاطفه، فعن أنس قال: (مَا رَأَيْتُ رَجُلاً الْتَقَمَ أُذُنَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم فَيُنَحّي رَأْسَهُ حَتّى يَكُونَ الرّجُلُ هُوَ الّذي يُنَحّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتّى يَكونَ الرّجُلُ هُوَ الّذي يَدَعُ يَدَهُ)[١].

وعن أبي هريرة: (...ولم يكن أحد يصافحه إلا أقبل عليه بوجهه، ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه)[٢]. وكان إذا أقبل بوجهه وحدث رجلاً ما ظن هذا الرجل أنه خير القوم لشدة تودد النبي المصطفى إليه[٣].

ويصف جابر بن عبد الله رضي الله عنه قسمات وجه النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه الوحي أو وعظ قلت: نذير قوم أتاهم العذاب فإذا ذهب عنه ذلك رأيت أطلق الناس وجهاً وأكثرهم ضحكاً وأحسنهم بشراً). وكان إذا حدث الناس غلب عليه التبسم[٤].

وكان يرد التحية بأحسن منها، فإن قيل له السلام عليكم رد وعليكم السلام ورحمة الله ، وإن قيل له مثل ذلك رد قائلاً: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[٥].

وكان يرحب بالقادم عليه فقال لعمار :(مرحبا بالطيب المطيب)[٦]، وقال لوفد عبد القيس:(مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى)[٧].

وكان يسأل زائره عن حاله وحال قومه، فيقول كيف أنت؟ أو كيف أصبحت؟ ويتمنى على جليسه أن يجيب بحمد الله تعالى[٨].

وكان عليه الصلاة والسلام ينزل الناس منازلهم، كل على قدر دينه وعلمه وسنه ومكانته بين قومه وهو القائل: (ليس منا من لم يجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه)[٩]. وأوصى بذلك فقال: (إن من إجلالي توقير الشيخ من أمتي...)[١٠]. ونبه إلى اكثر من ذلك فجعل تعظيم شيوخ المسلمين من تعظيم الله وإجلاله فقال:(إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم)[١١].

وأتى قوم يتقاضون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تحدث فتي منهم قاطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: [كبِّر، كبِّر]، أي دع من هم أكبر منك سناً يتحدث باسم القوم، فقام كبير من القوم فتكلم[١٢].

–وقدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير؟ كما دخل جرير بن عبد الله، رضي الله تعالى عنه، على رسول الله، صلَّى الله عليه وسلم، وعنده أصحابه، وضنّ كل رجل بمجلسه. فأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم رداءه، فألقاه إليه، فتلقاه بنحره ووجهه، فقبّله، ووضعه على عينيه. وقال: أكرمك الله كما أكرمتني. ثم وضعه على ظهر

رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا أتاه كريم قوم فليكرمه)[١٣].

وهو بذلك يقر بين الناس تبادل الهيبة والتوقير والاحترام. والمجتمع الذي يعرف هذه القيم يكرس هيبته بين الناس ويحفظ قدره على مرالأيام وتعاقب السنين، وورد: (ما أكرم شاب شيخاً لسنّه إلاقيض الله له في سنّه من يكرمه). وفي الحديث الشريف:(البركة مع أكابركم)[١٤].

ولم يكن مجلسه متزمتاً ولا كئيباً، بل كان ينبسط إلى جلسائه ويحادثهم بأمور الدنيا والآخرة ، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:(كنت جاره صلى الله عليه وسلم، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليّ فآتيه، فاكتب الوحي، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا...)[١٥].

وكان يمازح أصحابه بلا لعب ولا لهو، ولا يقول في مزاحه إلا حقا، وكان يلاطف الصغير والكبير والعجوز. ومن الصحابة شاب من البادية يدعى زاهر، دميم الخلقة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويمازحه، فوجده مرة في السوق يبيع متاعاً له، فاحتضنه من الخلف وزاهر لا يبصره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يشتري هذا العبد، فرد زاهر: يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسداً، فقال عليه الصلاة والسلام: أنت عند الله غالٍ[١٦].

وقدم وفد النجاشي، صاحب الحبشة، على النبي صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم، فقال له أصحابه نحن نكفيك، أي نقوم بدلاً منك بضيافتهم وخدمتهم، فقال: (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم)[١٧].

وفي الختام نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قمة في الأدب والأخلاق والتواضع مع كل الناس على علو قدره وعظم شأنه ورفعة قدره. كيف لا وهو خير خلق الله.

---

(١) أبو داود عن أنس.
(٢) البزار والطبراني وابن سعد في الطبقات عن أبي هريرة.
(٣) الترمذي في «الشمائل» عن عمرو بن العاص.
(٤) رواه الإمام أحمد عن أم الدرداء عن أبي الدرداء.
(٥) أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن جابر
(٦) الترمذي وابن ماجه والبخاري عن عليّ.
(٧) في الصحيحين عن ابن عباس.
(٨) أحمد عن أنس، الطبراني عن ابن عمر.
(٩) أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك عن عبادة بن الصامت.
(١٠) الخطيب في الجامع عن أنس
(١١) أبو داود عن أبي موسى
(١٢) البخاري عن سهل بن أي حثمة.
(١٣) الحاكم عن جابر.
(١٤) إبن حبان عن ابن عباس.
(١٥) الترمذي والبيهقي والطبراني عن خارجة عن أبيه زيد بن ثابت.
(١٦) الترمذي عن انس.
(١٧) البيهقي في «الدلائل» عن أبي قتادة.

إلى الأحبة القراء:

يسرّ مجلة «الإعجاز» تلقّي كل البحوث والمقالات الهادفة الى تنوير المجتمع وتثقيفه بصرف النظر عن هوية الكاتب، ومعتقده، وطائفته، وإنتمائه. ولا شرط لها إلا أن يتقيد بأصول البحث العلمي، والبعد عن التحريض، والنقد الهدام، وعن السياسة، وأن يكون هاجسه بعث الأمل في نفوس الناس لتخطي آثار الحرب وبناء المجتمع المتسامح.

فوائد استنشاق هواء الفجر*

قال الله تعالى ﴿ *وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً* ﴾ (الإسراء آية ٧٨).

يُرغب الإسلام بالنوم المبكر والإستيقاظ منذ الفجر وقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (بورك لأمتي في بكورها). وقال (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما عليها).

أما الفوائد الصحية التي يجنيها الإنسان بيقظة الفجر فهي كثيرة ومنها:

١- تكون أعلى نسبة لغاز الأوزون (O^3) في الجو عند الفجر وتقل تدريجياً حتى تضمحل عند طلوع الشمس حيث ثبت حديثاً أن غاز الأوزون – وهو أحد نظائر الأكسجين الموجود في طبقات الجو العليا لحماية الأرض من بعض الإشعاعات الضارة – ينزل إلى الطبقات الدنيا الملامسة لسطح الأرض عند الفجر ثم يرتفع مع شروق الشمس . وقد دهش الاطباء لآثاره العلاجية العجيبة . فهو يشفي من كثير من الأمراض النفسية والجسدية و ليس له أية آثار جانبية. ولهذا الغاز تأثير مفيد للجهاز العصبي ومنشط للعمل الفكري و العضلي بحيث يجعل ذروة نشاط الإنسان الفكرية والعضلية تكون في الصباح الباكر وقد ثبت أن حقن الأوزون يمكن أن تعطي الجسم نشاطاً هائلاً وتشعره بسعادة كبيرة ولهذا يستشعر الإنسان عندما يستنشق نسيم الفجر المسمى بريح الصبا لذة ونشوة لا شبيه لها في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل.

٢- إن أشعة الشمس عند شروقها قريبة إلى اللون الأحمر ومعروف تأثير هذا اللون المثير للأعصاب والباعث على اليقظة والحركة كما أن نسبة الأشعة الفوق بنفسجية تكون أكبر ما يمكن عند الشروق وهي الأشعة التي تحرض الجلد على صنع فيتامين «د» اللازم لنمو الجسم .

٣- الاستيقاظ الباكر يقطع النوم الطويل وقد تبين أن الإنسان الذي ينام ساعات طويلة وعلى وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب وخاصة مرض العصيدة الشرياني Atherosclerosis الذي يؤهب لهجمات خناق الصدر لأن النوم ماهو إلا سكون مطلق فإذا دام طويلاً أدى ذلك لترسب المواد الدهنية على جدران الأوعية الشريانية ومنها الشرايين الإكليلية القلبية Coronarya ولعل الوقاية عامل من عوامل الأمراض الوعائية هي إحدى الفوائد التي يجنيها المؤمنون الذين يستيقظون في أعماق الليل متقربين لخالقهم بالدعاء والصلاة. قال تعالى في سورة الفرقان:

﴿ والذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً ﴾(آية ٦٤). وقال تعالى مرغبًا في التهجد في سورة المزمل : ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً ﴾(آية ٦) وناشئة الليل هي القيام بعد النوم..

٤- من الثابت علمياً أن أعلى نسبة للكورتيزون في الدم هي وقت الصباح حيث تبلغ (٧-٢٢) مكروغرام/ ١٠٠ مل بلاسما، وأخفض نسبة له تكون مساءً حيث تصبح أقل من (٧) ميكروغرام/ ١٠٠مل بلاسما، ومن المعروف أن الكورتيزون هو المادة الفعالة التي تزيد فعاليات الجسم وتنشط استقلاباته بشكل عام ويزيد نسبة السكر في الدم الذي يزود الجسم بالطاقة اللازمة له..

ومن هنا نجد أن المسلم الملتزم بتعاليم القرآن إنسان فريد بالفعل..حيث يستيقظ باكراً ويستقبل اليوم الجديد بجد و نشاط.

---

* ibrahim.farshoukh@Gmail.com نقلاً عن «صفحة نور اسلامنا على الفايس بوك»
http://www.nourislamna.com/vb/t31263.html#post202496

الصيدلية الربّانية

يقول الله تعالى في سورة النمل: ﴿*أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ* [٦٠] *أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ* [٦١]﴾.

رفع الله تعالى الأرض اليابسة فوق مستوى البحار، وفصل سبحانه الماء العذب عن الماء المالح، وأوجد الجنان والبساتين وخلق الحيوانات والأسماك ...، فهيأ الأرض وجهزها بما يحتاجه هذا المخلوق الجديد قبل خلقه. وليس في خلق هذه الحاجات صدفة أو اعتباطاً، قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿*خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ* [٤٤]﴾.

لنتأمل ما خصّنا الله به من أغذية طبيعية كوصفات طبيّة تساعد أعضاء من جسم الإنسان على التداوي والتعافي بإذنه ... وأفضل ما يفعله الإنسان للإستفادة من هذه الأغذية هو أكلها طازجة وهذه هي العبرة الأولى، ولكننا نحن بنو البشر، وللأسف، نتباطأ في التعلم.

نبدأ بحلقات الجزر المقطعة، فهي تبدو كأنها عين بشرية ... حيث نجد في مركزها البؤبؤ ومن حوله القزحية ومن حولها باقي الأشعة ... ولقد أثبت العلم الحديث أن الإكثار من أكل الجزر يؤدي إلى تعزيز تدفق الدم في العين البشرية وبالتالي تأدية وظيفتها على أحسن حال.

ولحبة الطماطم (البندورة)، ٤ حجرات حمراء كما لقلب الإنسان ٤ حجرات حمراء وقد أثبتت البحوث أن الطماطم مليئة بمادة الليكوبين وبالتالي فهي غذاء صحي وحقيقي ونقي للقلب والدم.

وعنقود العنب معلق مثل قلب الإنسان وكل حبة عنب تبدوا وكأنها خلية من خلايا القلب ... ولقد أثبت الباحثون أن العنب هو غذاء حيوي للقلب والدم.

والجوز يشبه في شكله دماغ الإنسان وقشرة الجوز

تتألف من جزئين، جزء علوي (المخ) وجزء سفلي (المخيخ) كما أن طيات وأخاديد لب الجوز تشبه إلى حد بعيد طيات وأخاديد الدماغ البشري ... والجوز يطور عمل ٣ آلاف دزينة من المرسلات العصبية في الدماغ.

تعين الفاصولياء على الشفاء من بعض أمراض الكلى وتساعد على بقاء الكليتين عاملتين وبالفعل فإن شكل حبة الفاصولياء يشبه إلى حد كبير شكل كلية الإنسان.

الخضراوات كالكرفس والروباب والأنواع الأخرى تشبه إلى حد بعيد عظام الإنسان ويهدف تناول كميات كبيرة منها إلى تقوية العظام. يوجد في عظم الإنسان ٢٣ ٪ كالسيوم ويوجد في هذه الأصناف ٢٣ ٪ كالسيوم، وإذا كان جسمك لا يمتلك مايكفيه من الكالسيوم فأنه سوف يسحب حاجته من العظام مما يجعلها هشّة. هذه الأطعمة تغذي العظام بحاجته من الكالسيوم. إن فاكهة الأفوكادو والباذنجان والإجاص تستهدف تعزيز وظيفة الرحم وعنق الرحم لدى النساء وتماثلهن في الأشكال. وقد

بينت البحوث اليوم أن تناول حبة أفوكادو أسبوعياً يؤدي إلى إستقرار الهرمونات لدى المرأة ويعزل الأوزان الزائدة عند الولادة ويمنع سرطان الرحم.

والملفت أن حبة الأفوكادو تحتاج إلى تسعة أشهر حتى تنمو من زهرة إلى أن تنضج، إن في ذلك لعبرة.

وفاكهة التين مليئة بالبذور وعادة ما تكون هذه البذور معلقة على شكل بذرتين بذرتين فتشبه الخصيتين. وتبين أن التين يساعد على زيادة أعداد حيامن الرجل وفاعليتها، كما يساعد على الشفاء من العقم عند الذكور.

تشبه شكل حبات البطاطا الحلوة شكل البنكرياس وتناولها يؤدي إلى توازن السكر في الجسم.

أما الزيتون فيعزز من صحة المبايض ووظائفها.

بينما يشبه البرتقال والكريب فروت والحمضيات الأخرى الغدد الثديية لدى الإناث ، وتساعد فعليًا على صحة الثديين وحركة الغدد الليمفاوية داخل وخارج الثدي.

ويشبه البصل في شكله خلايا الجسم وقد أثبتت الدراسات

أن البصل يقوم بالتخلص من المواد الضارة من الخلايا في الجسم. حتى أنه يؤدي إلى إنتاج الدموع لتقوم هذه الدموع بغسل الأجزاء أو الخلايا الظاهرة من العين البشرية والتخلص من المواد الضارة بها. كما أن الثوم يقوم بإزالة الموادة السائبة والضارة والخطرة من جسم الإنسان.

ولا بد في الختام من لفت الأنظار إلى أن الدراسات الغذائية لا تزال في بداياتها، فهناك ما يقارب ال ١٤ ألف مكون كيميائي ضوئي غذائي في كل حبة من هذه الأصناف من الطعام ولم يستطع العلم الحديث سوى التعرف على ١٤١ مكون من هذه المكونات حتى الآن. فسبحان الخالق العظيم القائل في سورة (ص): ﴿*إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ* [٨٧] *وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ* [٨٨]﴾. والحمد لله رب العالمين.

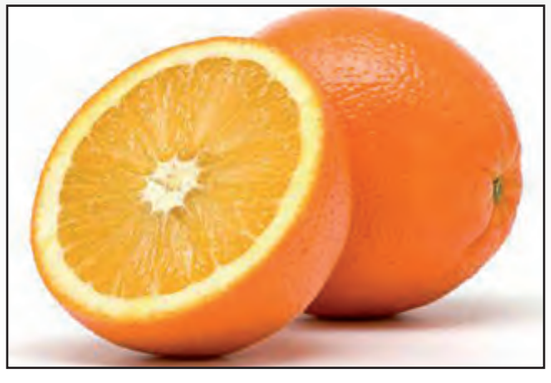

الفاكهة وفوائدها

د.ستيفن مالك

نعتقد جميعا أن تناول الفاكهة يعني: شراءها وتقشيرها أو تقطيعها، ثم أكلها. ولكن الأمر في الحقيقة ليس بهذه السهولة فمن المهم معرفه كيف ومتى نتناول الفواكه.

فما هي الطريقة الصحيحة لتناول الفاكهة؟

أكل الفاكهة لا يعني تناولها بعد الطعام ! بل ينبغي تناولها على معدة فارغة.إذا كنت تأكل الفاكهة بتلك الطريقة «وأعني أكل الفاكهة على معدة فارغة» فذلك سيؤدي بدور رئيسي وفعال لإزالة سمية جهازك الهضمي، وفي نفس الوقت سوف يمد الجسم بقدر كبير من الطاقة اللازمة لإنقاص الوزن وغيرها من أنشطة الحياة المتعددة.

الفاكهة هي أهم غذاء

لنفترض انك تناولت شريحتين من الخبز وبعد ذلك أكلت شريحة فاكهة. شريحة الفاكهة على استعداد للذهاب مباشرة من المعدة إلى الأمعاء، ولكنها منعت من القيام بذلك.

وفي هذه الأثناء الوجبة بكاملها (شريحتا الخبز) ستتعفن وتتخمر وتتحول إلى حامض. ومنذ اللحظة التي تلامس بها الثمرة الطعام في المعدة والعصارة الهضمية فان كتلة الطعام تبدأ بالفساد .... لذا نرجوكم تناول الفاكهة على معدة فارغة أو قبل وجبات الطعام!

نسمع بعض الناس يتذمرون قائلين: « في كل مرة كنت أتناول بها البطيخ أتجشأ»، أو «عندما أكل فاكهة محددة فان معدتي تنتفخ»، « بمجرد تناولي الموز أشعر بحاجه ملحه للذهاب إلى المرحاض»،... إلخ في الواقع كل هذه المشاكل لن تحدث إذا أكلنا الفاكهة على معدة فارغة. وإلا فإن ثمرة الفاكهة ستختلط مع غيرها من المواد الغذائية المتعفنة وتنتج الغاز، وبالتالي سوف نشعر بالانتفاخ!

الشيب، الصلع، الغضب، والدوائر السوداء تحت العين كل ذلك لن يحدث إذا كنت تتناول الفاكهة ومعدتك فارغة .

كتب الدكتور (هربرت شيلتون)،الذي أجرى مجموعة من البحوث حول هذه المسألة، يقول:

«لا يوجد ما يسمى بفواكهة حمضية مثل البرتقال والليمون، وذلك لأن جميع الفواكه تصبح قلوية داخل أجسامنا. إن كنت تتحكم بالطريقة الصحيحة لتناول الفواكه، فأنك ستملك كل من سر الجمال، وطول العمر، والصحة والطاقة والسعادة والحصول على الوزن الطبيعي».

عندما ترغب بشرب عصير الفاكهة فأشرب عصير الفاكهة الطازجة فقط وليس المعلب، ولا تشرب العصير الذي تم تسخينه.

لا تأكل الفواكه المطبوخة، لأنك لن تحصل على المواد المغذية المفيدة على الإطلاق. كل ما ستحصل عليه هو الطعم. فطبخ الفاكهة يدمر الفيتامينات.

والأفضل تناول الفاكهة بكاملها بدلاً من شرب العصير. ولكن إن كان لا بد أن تشرب العصير فاشربه ببطء، وهكذا ستسمح باختلاط العصير مع اللعاب قبل بلعه.

حمية الفاكهة

وذلك- بالصيام لمدة ٣ أيام خلالها لا تتناول أي طعام غير الفواكه وبذلك تطهر وتنظف الجسم.- بمعنى «مجرد أكل الفاكهة وشرب عصير الفواكه طوال ٣ أيام»، وسوف تفاجأ عندما يقول لك أصدقائك كم تبدو مشرقًا ومبتهجًا!

فوائد بعض الفواكه

ثمار الكيوي: الكيوي ثمرة صغيرة ولكنها قوية. فهي مصدر جيد للبوتاسيوم والمغنيسوم وفيتامين E بالاضافة للألياف. كما أنها تحتوي على ضعفي كمية فيتامين C الموجودة في البرتقال.

ثمار التفاح: تفاحة يوميًا تغنيك عن الطبيب؟ على الرغم من ان التفاح يحتوي على نسبة منخفضة من فيتامين C، ولكنة يحتوى على المواد المضادة للأكسدة التي تعزز من نشاط فيتامين (C) مما يساعد على خفض مخاطر الإصابة بسرطان القولون، أو

الإصابة بنوبة قلبية والسكتة الدماغية.

ثمار الفراولة: تعتبر الفراولة فاكهة الحماية والوقاية. وتحتوي على أعلى نسبة مضاد للأكسدة بين أهم أنواع الفاكهة. كما تحمي الجسم من مسببات السرطان، ومن انسداد الأوعية الدموية.

ثمار البرتقال: أحلى دواء. فان تناولت مابين ٢-٤ من البرتقال يوميًا فستبعد عنك نزلات البرد وسيخفض نسبة الكولسترول، كما ستعمل على الحيلولة دون الإصابة بحصى الكلى وأذابة حصى الكلى، وكذلك يقلل من مخاطر الإصابة بسرطان القولون.

ثمار البطيخ: أفضل وأروع فاكهة تقضي على العطش. تتألف من ٩٢ ٪ من المياه، كما أنها محملة بجرعة عملاقة من الجلوتاثيون (نوع من الأحماض الامينية)، والتي تساعد على تعزيز جهاز المناعة لدينا. كما أنها تشكل مصدرًا رئيسيًا للالليكوبين – مكافح عامل أكسدةالسرطان. كما يحتوي على فيتامين (C) و للبوتاسيوم.

الجوافة والبابايا: تستحقان أفضل الجوائز لاحتوائهما على اعلى نسبة من فيتامين (C) والجوافة غنية أيضًا بالألياف، مما يساعد على منع الإمساك. البابايا غنية بالكاروتين، وهذا جيد لعينيك.

إعجاز نبوي فلكي

مقارنة بين الوصف النبوي وتصور علماء الفضاء للكون

ع.ر.د. محمد فرشوخ*

الحمد لله خالق الأكوان ومبدع الألوان، بديع السموات والأرض العلي القدير. والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق، سيدنا محمد نبي الصدق وعلى آله وصحبه وسلم.

يستند هذا البحث إلى دراسات ومشاهد وتصورات علمية، صادرة عن أكبر مركز علمي فضائي في العالم، وهو مركز النازا الأميركي للأبحاث الفضائية حيث تتضافر جهود نخب وأجيال من العلماء من مختلف الأعراق والأجناس لا يجمعها إلا التفوق العلمي، وحيث وضعت بتصرفهم أدق الأجهزة، وبنيت لتسهيل أبحاثهم أهم المراصد وتوفرت لهم إمكانيات رصد الفضاء ودراسته من الأرض ومن المركبات الفضائية، وخصص لهم من الأموال والجهود ما لا يتوفر إلا لأكبر جيوش الأرض.

ويركز هذا البحث على الخطوط والملامح الكبرى للكون، سواء تلك التي دل عليها العلماء شهوداً أو ما تصوروه اعتقاداً بسبب عجزهم عن رؤيته، فأجمعوا على استنباط هيئته استناداً لما توصلوا إليه من أبحاث ومكتشفات.

وتحين عند كل سانحة المداخلة النبوية لوصف الكون كما أراه الله تعالى لنبيه المصطفى رأي العين، بالصور والأبعاد، قبل ألف وأربعماية سنة حيث لم يكن بوسع إنس ولا جان أن يبلغ بعقله ولا بعلمه ولا بتحصيله مثل هذا العلم ومثل هذه الحقائق والأوصاف.

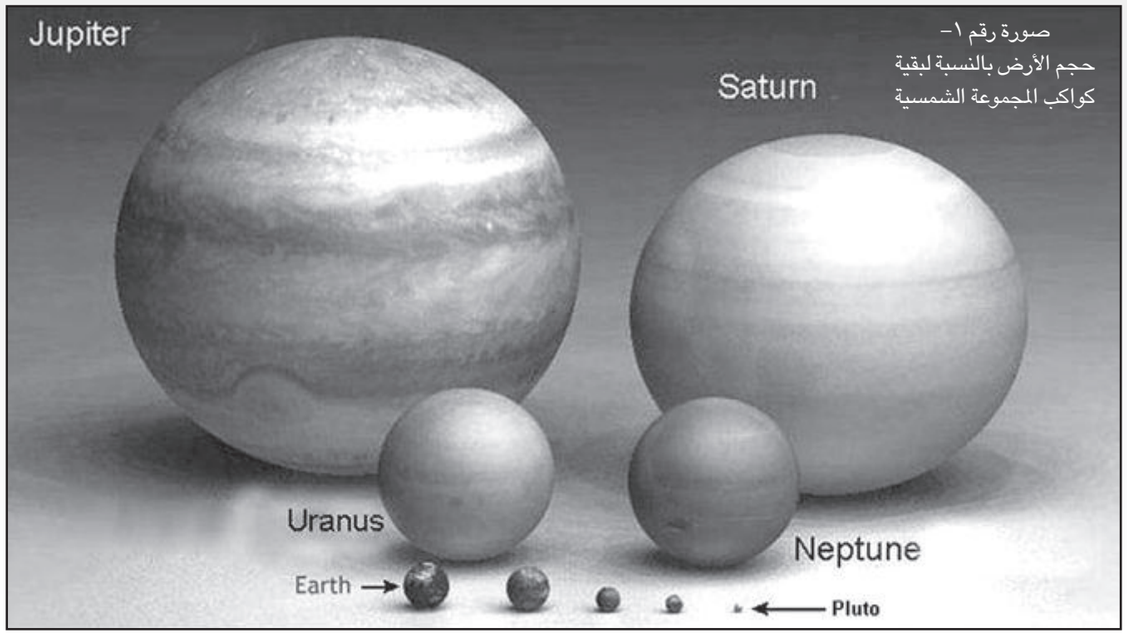

صورة رقم ١-
حجم الأرض بالنسبة لبقية كواكب المجموعة الشمسية

١-نذكر أولاً وصف النبي صلى الله عليه وسلم لأبعاد الأجرام السماوية وأحجامها بالنسبة لما فوقها، وذلك استناداً للحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: «**... يا أبا ذر! ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة،...**»[١].

وقد بات من المسلم به علمياً أن مجرتنا المسماة درب اللبانة تحوي على مليارات من النجوم أمثال شمسنا الساطعة وأصغر منها وأكبر بملايين المرات . وأن الكون يحوي مليارات المجرات من أمثال مجرتنا العتيدة.

وتشرح الأحاديث الشريفة هذه النسب بطرق متعددة على حدود أفهام أهل ذلك العصر وقدراتهم على الاستيعاب:

مثل قوله صلى الله عليه وسلم: **إنما سمي العرش عرشا لارتفاعه**[٢]. وكذلك قوله: **ما يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه، وإن السموات في خلق العرش مثل قبة في صحراء**[٣].

وقوله أيضاً: **ما أخذت السموات والأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض**

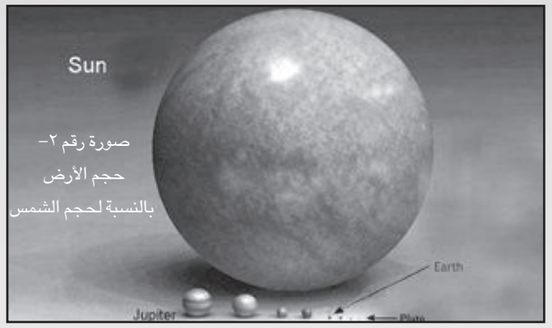

صورة رقم ٢-
حجم الأرض
بالنسبة لحجم الشمس

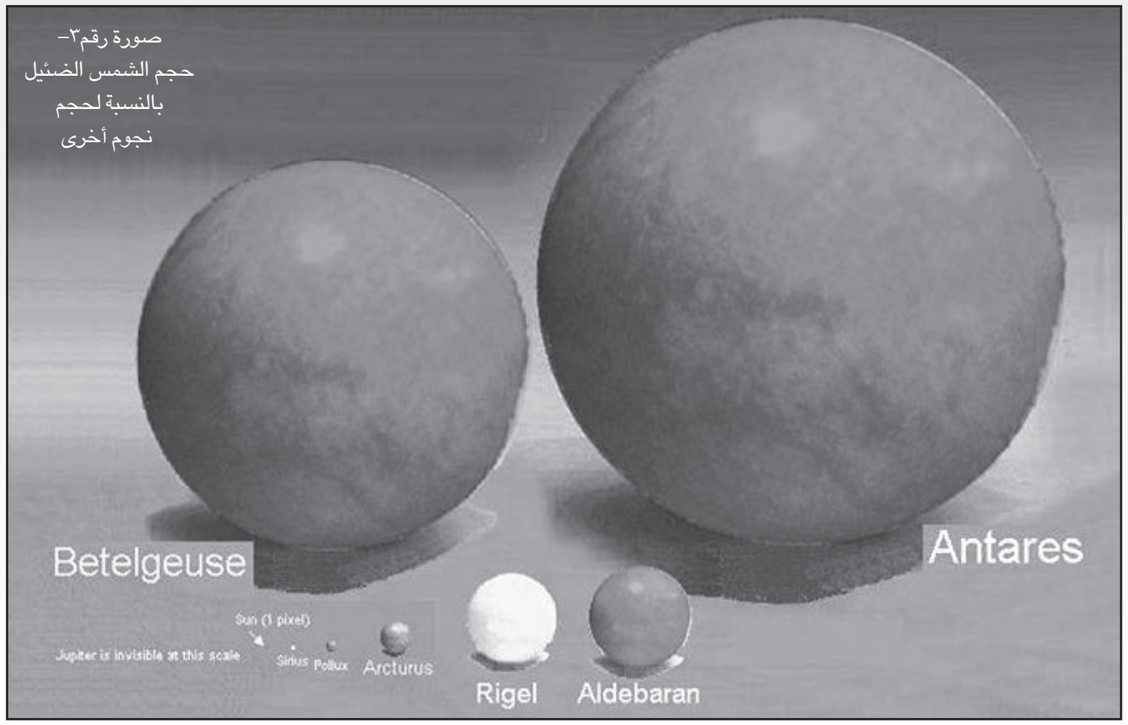

صورة رقم٣-
حجم الشمس الضئيل بالنسبة لحجم نجوم أخرى

صورة رقم ٤- مجرة من مليار نجم في حلقة.

صورة رقم ٥- مجرة تتجمع نجومها بشكل درهم أو دينار

الفلاة[٤].

- وعن مجاهد: -ح: **ما السماوات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة**. كما ورد أيضاً:-ح: **أن السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهما وما بينهما بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض**..[٥] (وتظهر هذه النسب في الصور١و٢و٣ التالية):

ولا يمكن هنا أن نمر على موضوع النسب والأبعاد والأحجام دون أن نتنبه إلى عبارة «**حلقة**» التي وردت في كل الأحاديث والروايات التي تصف الكون والفضاء ، ودون أن نعجب بدقة وصف المجرات، فلا توصف بـ: كرات ولا بمسطحات ولا بغير ذلك، إن هي إلا أشبه بالحلقات وليت المجال يتسع لعرض أبحاث جديدة لعلماء فضاء متفوقين يشددون على أن الكون كله حِلَق، وأن للحلقة قدرة على التماسك والجذب والتوازن ما لا يتوفر في سواها من الأشكال[٦]. **فالحلقة تعبير فضائي دقيق**.(صورة رقم ٤).

٢-ثم يصور المصطفى عليه الصلاة والسلام بعض ما يراه في السماء على شكل دراهم متناثرة في فضاء واسع: -ح: «**ما السموات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم ألقيت في فلاة من الأرض وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض**». كما ورد في تفسير الإمام القرطبي للآية ١٣٣ من سورة آل عمران.

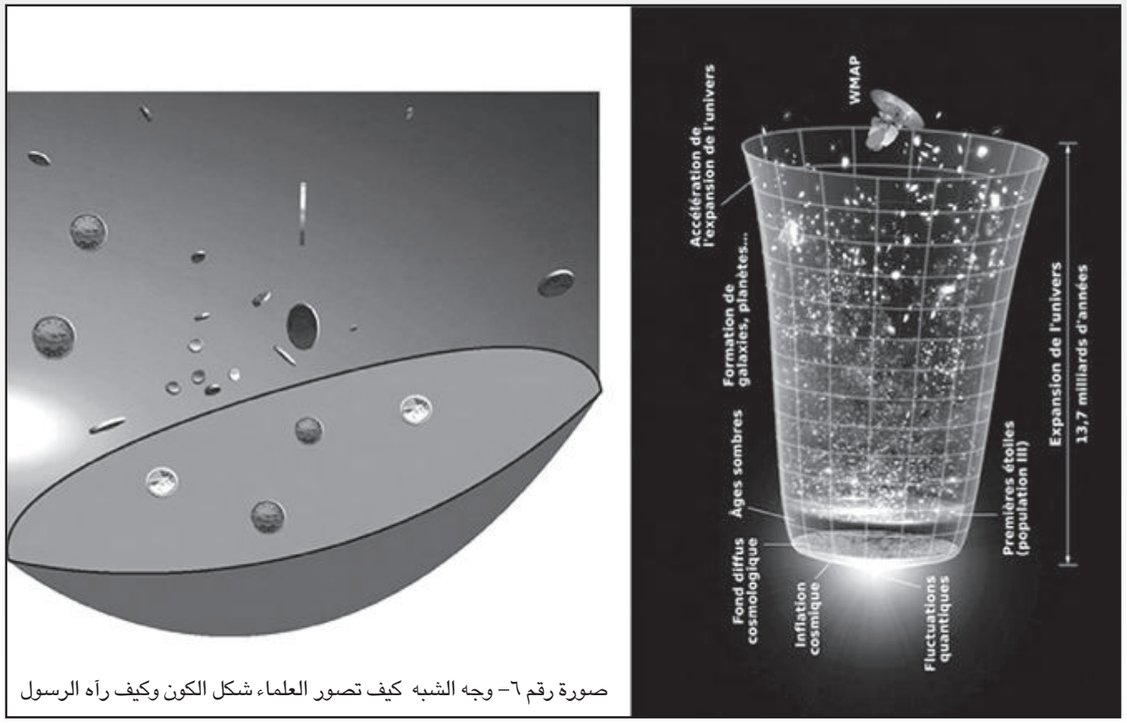

صورة رقم ٦- وجه الشبه كيف تصور العلماء شكل الكون وكيف رآه الرسول

ومن ينظر إلى (الصورة رقم ٥)، المرفقة بالبحث والتي التقطها التلسكوب «هابل» لإحدى المجرات، يجد أنها تشبه إلى حد كبير قطعة من العملة المعدنية كالدرهم أو الدينار، ولعل تقييد الوصف بالدرهم ما هو إلا للتقريب إلى الأذهان حول شكل المجرة وصغر حجمها بالنسبة للفضاء المحيط بها.

٣- وأهم وصف للنبي المصطفى لمجموعة المجرات هو عندما وصفها مجتمعة داخل الفضاء الرحيب فقال:

-ح: « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»[٧].

ومن المعروف أن الرقم سبعة عند العرب يفيد الكثرة ولا يتحدد فقط بالسبعة عددا. ولئن نظرنا إلى تصور العلماء للكون منذ أن وجد وإلى يومنا هذا لفوجيء بأن ما تصوروه ليس بعيداً عما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءت كدراهم في ترس أو كأس. (الصورة رقم ٦).

ولمن يأخذه العجب أو تعتريه الدهشة إكباراً أو استكباراً فيسأل من أين للنبي الكريم بهذه المعلومات أو المشاهدات نقول له:

قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ،(...)، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ قُلْتُ لا، قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ (أَوْ قَالَ فِي نَحْرِي) فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ.....**[٨]**وفي رواية ثانية : «فتجلى لي كل شيء وعرفت»**[٩]**، وفي رواية ثالثة: «فعلمت ما بين المشرق والمغرب»**[١٠].

ويكفي للتأكيد قول الله تعالى: ﴿*مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى*﴾[١١].

هذا من أعلام نبوة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ومن فضل الله تعالى عليه وعلى كل من آمن به نبياً، ومن أراه الله تعالى فضاءه الرحيب فوصفه لنا السماء بهذه الدقة، لم يعد غريبا علينا أن نصدقه في خبر الأرض. كل ذلك لتطمئن القلوب إلى حقيقة الدين وصحة المعتقد مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿*فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ*﴾[١٢] . فسبحان الذي أيّد نبيه الأميّ صلى الله عليه وسلم بنصره وبعلمه والحمد لله رب العالمين.

---

* رئيس منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في لبنان.

(١) أخرجه إبن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن الحسن بن سفيان.

(٢) ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد.

(٥) في نظم المتناثر من الحديث المتواتر للشيخ جعفر بن محمد الكتاني.

(٦) Space rings make the universe go around– .: www.news.cm.av

Earth & universe :Ring galaxies: universe–– earth.blogspot.com

(٧) أخرجه أبو الشيخ عن عبد الرحمن بن زيد أسلم عن أبيه في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للإمام السيوطي (في تفسير ﴿*وهو رب العرش العظيم*﴾ من الآية ١٢٩ من سورة التوبة).

(٨) الإمام أحمد والترمذي وعبد الرزاق عن ابن عباس، وكذلك إبن منده والبغوي والبيهقي وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي.

(٩) أحمد والترمذي والحاكم عن معاذ بن جبل.

(١٠) الترمذي عن ابن عباس.

(١١) (سورة النجم-آية١٧ و١٨).

(١٢) سورة النمل-آية ٧٩.

مرور البرق ورجوعه معجزة نبوية

د. عبد الدائم الكحيل*

مقدمة:

كان النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه ذات يوم، وأراد أن يحدثهم عن يوم القيامة، وعن موقف خطير في ذلك اليوم، وهو المرور على الصراط، فحدّثهم المصطفى عليه الصلاة والسلام عن هذا الأمر وقال لهم بأن: كل إنسان سيمرّ على هذا الصراط حسب عمله فأكثرهم إيماناً أسرعهم مروراً على الصراط، فعدَّد لهم النبي صلى الله عليه وسلم أشخاصاً يمرون بسرعة البرق، وآخرين يمرون بسرعة الريح وأشخاص يسيرون على الصراط بسرعة الخيل، حتى نجدَ أناساً لا يستطيعون السير فيزحفون زحفاً، قال صلى الله عليه وسلم: (فيمرّ أولكم كالبرق) ومن بين الذين كانوا يستمعون لهذا الحديث سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه وهو راوي هذا الحديث وهذا الحديث رواه الإمام مسلم، استغرب سيدنا أبو هريرة من قول النبي عليه الصلاة والسلام (فيمرّ أولكم كالبرق) فقال: بأبي أنت وأمي أي شيء كمرّ البرق؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (ألم تروا إلى البرق كيف يمرّ ويرجع في طرفة عين).

نستطيع أن نستنتج من هذا الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قد حدّثنا عن آلية حدوث البرق وأن هنالك مروراً ورجوعاً لهذا البرق، مع العلم أننا إذا نظرنا إلى شعاع البرق لا نرى أي مرور أو رجوع، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام حدثنا عن ذلك.

ماذا كشف العلماء حديثاً حول هذه الظاهرة الكونية المخيفة والجميلة؟

بعد ألف سنة، أي في القرن السابع عشر والثامن عشر، وبعد أن انطلقت الثورة العلمية أخذ العلماء يبحثون في أسرار هذه الظاهرة ولكن معرفة الناس وقتها اقتصرت على أن البرق هو عبارة عن شرارة كهربائية. هذا ما وجده العالم بنيامين فرانكلين عام ١٧٥٢. وبقيت هذه المعرفة محدودة حتى جاء القرن العشرين، عندما تمكن العلماء من اختراع الكاميرات الرقمية، وفي العام ٢٠٠٠ تحديداً تمكنوا من صنع كاميرات ذات سرعة فائقة تستطيع أن تلتقط أكثر من ألف صورة في الثانية الواحدة.

حاول العلماء قبل ذلك معرفة أسرار هذه الظاهرة، فأطلقوا مختبرات داخل مناطيد، واستخدموا الأقمار الاصطناعية، واستخدموا كل التقنيات المتاحة أمامهم لمعرفة أسرار البرق، فوجدوا أن البرق لا يحدث فجأة إنما على مراحل متعددة وقاموا بتفسير هذه الظاهرة كما يلي: فالبرق هو شرارة كهربائية، ولكنها لا تحدث فجأة إنما ينزل من أسفل الغيمة شعاع ، مشحون بالكهرباء السالبة، ينزل هذا الشعاع من الالكترونات السالبة باتجاه الأرض وعندما يقترب من الأرض التي تكون مشحونة شحنة موجبة، أي معاكسة، يحدث تصادم واحتكاك بين الشحنتين، ثم يرجع الشعاع باتجاه الغيمة. أي أن هنالك مرورٌ ورجوعٌ للشعاع، وإن أيّ ومضة برق لا تحدث إلا إذا نزل الشعاع ثم عاد ورجع إلى الغيمة ونشاهد عندها ومضة البرق التي نسميها ومضة البرق أو ضربة البرق.

يخبر هذا الحديث الشريف بدقة كاملة عن هذه الظاهرة عندما قال عليه الصلاة والسلام: (ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين). والغريب أن ما

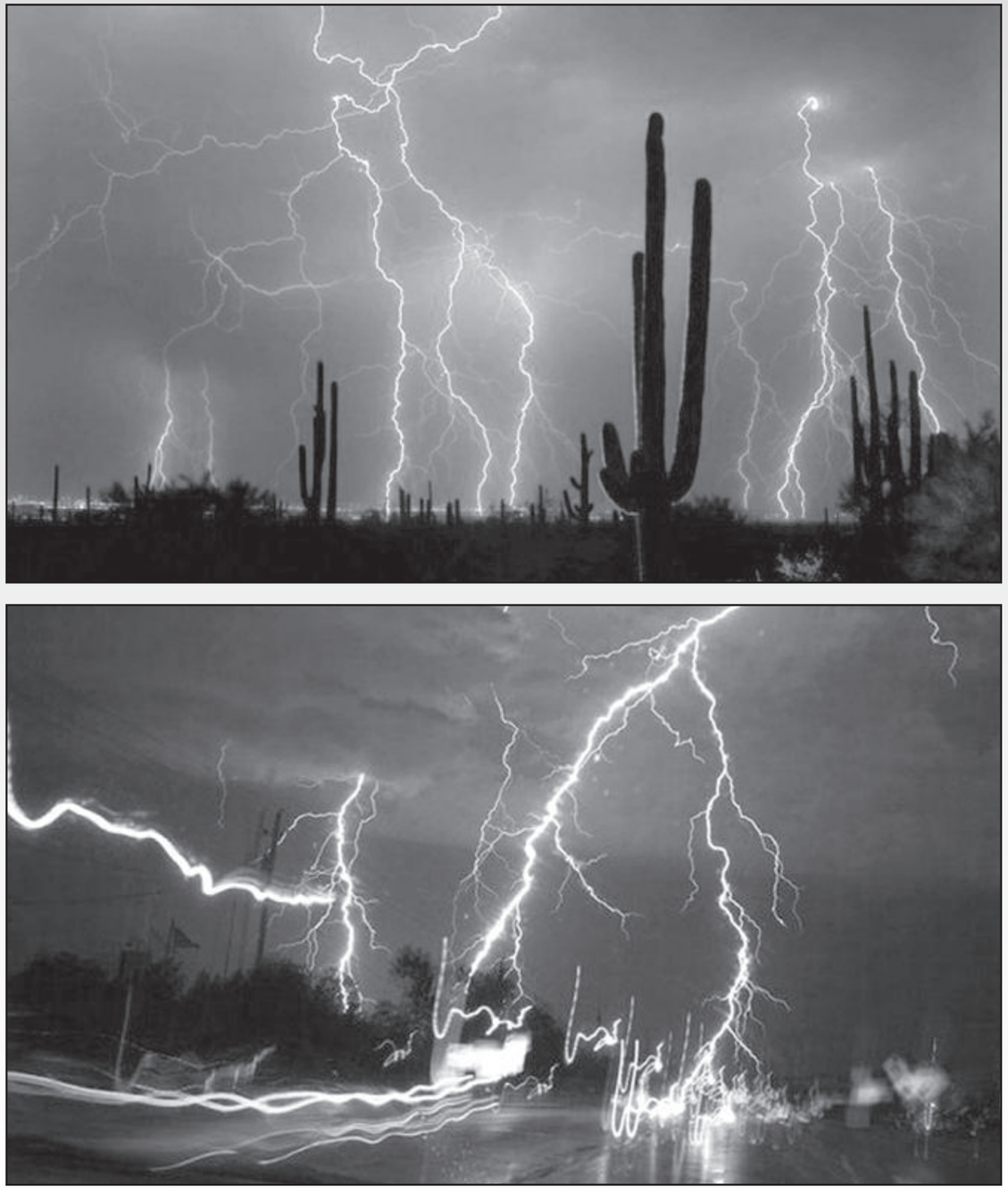

يقوله علماء وكالة ناسا يطابق تماماً هذا الحديث، يعني ما وجده العلماء يقيناً يتطابق مئة بالمئة مع هذا الحديث حتى إنهم يستخدمون التعبير النبوي ذاته، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين) وعلماء وكالة ناسا يصفون هذه الظاهرة على موقعهم على الإنترنت ويقولون: إن هذا البرق يحدث في طرفة عين.

يقول أحد علماء وكالة ناسا (Steve Goodman، A Lightning Primer، www.nasa.gov) يشرح عملية البرق:

A lightning strike can heat the air in a fraction of a second. When air is heated that quickly، it expands violently and then contracts، like an explosion that happens in the blink of an eye.

ومعنى هذا الكلام أن ضربة البرق تحدث في طرفة عين! وهذا ما قاله نبيّنا صلى الله عليه وسلم قبل ١٤ قرنًا!

إن الإنسان ليعجب من هذا التطابق بين ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام وبين ما يكشفه العلماء اليوم، فالنبي يقول: (ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين) والعلماء يقولون: إن الزمن اللازم لومضة البرق هو ذاته الزمن اللازم لطرفة العين، إن هذا يدعونا لأن نزداد يقيناً بصدق هذا النبي الأمي عليه الصلاة والسلام، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿*وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى*﴾ [النجم: ٣-٤].

هذه الحقائق العلمية هي حقائق يقينية لا شك فيها، فالعلماء صوروا هذه الظاهرة (ظاهرة البرق) باستخدام الأقمار الاصطناعية ومن الأشياء المذهلة أنهم وجدوا أنه في كل ثانية هنالك أكثر من مائة ومضة برق على سطح الكرة الأرضية، يعني لو نظرنا إلى الكرة الأرضية في أي لحظة نلاحظ أن هنالك في كل ثانية ١٠٠ ومضة برق، وفي كل يوم أكثر من ٨,٠٠٠,٠٠٠ ضربة برق، فتأملوا كم يحدث من هذا البرق خلال عام أو خلال سنوات. ويقول العلماء إن هذا البرق هو نعمة من نعم الله تعالى فهو يعمل مثل صمام أمان لأن الغلاف الجوي للأرض فيه كهرباء بشكل دائم، وهذه الانفراغات من ومضات البرق وضربات البرق والتي تحدث باستمرار هي أشبه بإعادة تنسيق الكهرباء في الغلاف الجوي.

أنواع البرق

هنالك أنواع عديدة للبرق، برق يحدث بين الغيمة وبين الأرض، وهنالك برق يحدث بين غيمة وغيمة أخرى، وهنالك برق يحدث بين الغيمة والهواء المحيط بها، وهنالك برق أيضاً يحدث بين طبقات الجو العليا وبين الغيوم، وهنالك برق يحدث في الصيف، وآخر في الشتاء، هنالك أنواع لا تحصى من هذا البرق، ولكن هذه الأنواع جميعاً تشترك في نفس المبدأ، أي أن آلية أو هندسة حدوث البرق هي ذاتها، فأي ومضة برق حتى تحدث لا بد أن ينطلق شعاع من الغيمة باتجاه الأرض ثم يعود، يمرّ ويرجع.

لقد أعطانا هذا الحديث لمحة إعجازية مبهرة في قوله: (في طرفة عين). وبما أن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى وكل كلمة نطق بها هي وحيٌ من عند الله تبارك وتعالى فعندما يقول ويؤكد أن هذا البرق هذا المرور والرجوع يحدث في طرفة عين فهذا كلام حقّ، وهذا ما دفعني لتأمل هذا الحديث فتساءلت: ما هو الزمن اللازم لومضة البرق؟

إعجاز آخر: الزمن اللازم لومضة البرق ولطرفة العين

بعد دراسة معمقة في أحدث الأبحاث العلمية حول هذه الظاهرة وجدت أن العلماء جميعاً يتفقون على أن الزمن اللازم لومضة البرق الواحدة وسطياً يقدّر بعشرات الميلي ثانية، والميلي ثانية هي جزء من الألف من الثانية، وعندما نقول عشرات الميلي ثانية، يعني عشرات الأجزاء من الألف من الثانية، يعني قد يكون عشرين ميلي ثانية، وقد يكون ثلاثين أو أربعين حتى المائة تقريباً.

وعندما بحثت عن الزمن اللازم لطرفة العين وجدت علماء النفس وعلماء الفيزياء يؤكدون أن الزمن اللازم

لطرفة العين يقدّر أيضاً: بعشرات الميلي ثانية، فقد يكون عشرين ميلي ثانية، أو ثلاثين، أو أربعين وهكذا حسب الحالة النفسية للإنسان، وحسب العمر، وحسب الحالة الصحية له، يختلف من إنسان لآخر ولكن هذا الزمن يقدّر بعشرات الأجزاء من الميلي ثانية.

ما العبرة من هذه الحقيقة الكونية؟

والسؤال الذي أحب أن أطرحه معكم: لماذا تناول النبي عليه الصلاة والسلام هذه الظاهرة ؟ هل لمجرد أن يحدثنا عن سرعة البرق، مع العلم أنها معجزة نبوية لأن القرن السابع الميلادي لم يكن فيه أحد يعرف شيئاً عن سرعة البرق أو سرعة الضوء ولكن النبي عليه الصلاة والسلام حدثنا عن ذلك، حدثنا وأكّد لنا أن هنالك سرعة محددة لهذا البرق يسير بها.

فلو تأملنا هذا الحديث نرى فيه إشارة نبوية لطيفة، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام يريد أن يقول لنا كما أنكم ترون هذا البرق ولا تشكون في رؤيته أبداً، وكما أنكم على يقين تام بأن البرق يمرّ ويرجع، كذلك سوف تمرّون يوم القيامة على الصراط، هذه رسالة نبوية لكل من ينكر رسالة هذا النبي الأمي عليه الصلاة والسلام.

خاتمة:

هذه الظاهرة درسها علماء على مدى أكثر من قرنين ونصف حتى وصلوا إلى نتيجة وهي أن هنالك مروراً ورجوعاً للبرق وأن زمن البرق هو ذاته زمن طرفة العين، حتى العلماء عندما وضعوا مصطلحاتهم ماذا وجدوا؟ عندما أطلقوا على هذه المراحل التسميات، أطلقوا مصطلح Return Stroke أي الضربة الراجعة والمرحلة الأولى من مراحل البرق أيضاً أسموها مرحلة المرور وهكذا.

تأملوا معي هذا التطابق الكامل بين ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام وبين ما يراه العلماء اليوم رؤية يقينية تامة وربما من أهم الإشارات في هذه الظاهرة إشارة النبي عليه الصلاة والسلام إلى وجود سرعة للبرق أو سرعة للضوء وهذه السرعة لم تكتشف إلا في القرن العشرين فمن الذي أخبر هذا النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الحقائق الغزيرة فجمعها لنا في كلمات قليلة ولكنها في قمة البلاغة والتعبير. وأمام هذه الآيات المبهرة لا أملك إلا أن أقول سبحان الله القائل: ﴿*وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ*﴾ [النمل:٩٣].

---

* وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع:
www.kaheel7.com

المراجع:

[1] Martin A Uman، All About Lightning، Courier Dover Publications، 1987.
[2] G V Cooray، Vernon Cooray، The Lightning Flash، IET، 2003.
[3] Richard Kithil، Fundamentals of Lightning Protection، National Lightning Safety Institute، www.lightningsafety.com
[4] Martin A Uman، Lightning، Courier Dover Publications، 1984.
[5] Hugh Christian، Steven Goodman، Observing Lightning from Space، www.nasa.gov، 1998.
[6] The Lightning Process: Keeping in Step، www.noaa.gov، March 9، 2004.
[7] Dan Breed، Bob Henson، Lightning: FAQ، UCAR Communications، www.ucar.edu
[8] Niels Jonassen، Environmental ESD، http://www.ce-mag.com
[9] Steve Price، Patrick Barry، Tony Phillips، Where Lightning Strikes، www.nasa.gov، Dec. 5، 2001.
[10] Zeus، www.wikipedia.org
[11] www.weathereye.kgan.com /cadet/lightning/thunder.html
[12] Time Converter، www.csgnetwork.com.
[13] Lightning، www.wikipedia.org
[14] Lightning and Thunder، www.fma-research.com
[15] Leslie Mullen، Spirits of Another Sort، www.thunder.msfc.nasa.gov، June 10، 1999.
[16] How Lightning Forms، www.weatherimagery.com
[17] Flash Facts About Lightning، National Geographic News، June 24، 2005.
[18] Steve Goodman، A Lightning Primer، www.nasa.gov
[19] Zeus and his Lightning Bolt، www.atheism.about.com
[20] Susan Chollar، In the blink of an eye، Psychology Today، March، 1988.
[21] Dean R. Koontz، Lightning، Berkley Publishing Group، 2003.
[22] www.csgnetwork.com/timemath.html
[23] www.home.earthlink.net/~jimlux/lfacts.htm
[24] lightning glossary، www.lightningeliminators.com
[25] Leslie Mullen، Three bolts from the blue، www.nasa.gov، June 8، 1999.

أسرار الشمس بين الوصف القرآني وحقائق علم الفلك الحديث

أ. صبحي رمضان فرج*

ورد ذكر الشمس في القرآن الكريم ٣٥ مرة، منها ٣٣ مرة باسمها (الشمس)، ومرتان بصفتها بأنها (سراج)، و(سراج وهاج). وتصف الآيات القرآنية الشمس بأنها آية من آيات الله، وأن الله تعالى خلقها بتقدير دقيق وجعل لنا من انضباط حركاتها وسيلة دقيقة لحساب الزمن والتأريخ للأحداث، وأنها ضياء (أي مصدر للضوء) وأنها سراج (أي جسم متقد، مشتعل، مضيء بذاته)، وأنها سراج وهاج (أي شديد الوهج)، وأنها والنجوم مسخرات بأمر الله، مسبحات بحمده، ساجدات لجلال عظمته، وأن هذا التسخير لأجل مسمى ينتهي بعده كل هذا الوجود، وأن بداية تهدم الكون الحالي تتمثل في بداية تكور الشمس وانكدار النجوم.

الشمس آية تجري بحسبانٍ دقيق

الوصف الأول: ﴿*وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ*﴾(فصلت:٣٧) روى الأمام البخاري في صحيحه عن أبي بكرة–رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولكن الله تعالى يخوف بهما عباده»، وفي رواية أخرى: «فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة» وفي رواية ثالثة: «فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا».

وهذا الحديث يعد تأصيلاً باهراً لحقيقة الظواهر الكونية الطبيعية التي لطالما قدست وعبدت من دون الله بما ملئت العقول من أساطير وخرافات، فهو إبطال لما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض، قال الخطابي: كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر، فأعلم النبي صلى الله عليه و سلم أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خَلقان مُسخَّران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما (فتح الباري: ٢/ ٥٢٨).

وقد قطع الإسلام حبل الصلة بين الأحداث الأرضية أو الأقدار الغيبية ومثل هذه الظواهر واعتبر نسبتها إليها نسبة الفاعل لها ضرب من الإشراك والكفر، يؤكده ما أخرجه الأمام البخاري في صحيحه عن زيد بن خالد –رضي الله عنه– قال: خرجنا مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صلاة الصبح ثم أقبل علينا فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: «قال الله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنجم كذا وكذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي» رواه البخاري(٣٩١٦).

الوصف الثاني: ﴿*كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*﴾ (الأنبياء:٣٣) قال تعالى: ﴿*لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*﴾ (يس: ٤٠)، وقال: ﴿*وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ*﴾ (الزمر:٥)، وقال: ﴿*وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*﴾ (الأنبياء:٣٣)، وقال أيضا:﴿*وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ*[٣٨]*وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ*

﴿*كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ*﴾ (يس:٣٩) يقول ابن جرير–رحمه الله– في تفسير قول الله تعالى: ﴿*هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*﴾(سورة الأنبياء: آية٣٣).

اختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية، فقال بعضهم: هو كهيئة الرحى، ونقل هذا المعنى عن مجاهد وابن جرير(جامع البيان، للطبري ٢٢/١٠). وقال ابن كثير–رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ): أي يدورون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة، وقال مجاهد: فلا يدور المغزل إلا في الفلكة ولا الفلكة إلا بالمغزل، كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور إلا بهن(تفسير ابن كثير ٢٨٥/٣).

يأتي هذا بينما ظل العلماء يعتقدون حتى القرن الماضي أن الشمس هي مركز الكون وأنها ثابتة في حجمها وكتلتها ومكانها، وأن كل شيء يتحرك حولها. وتدور الشمس حول نفسها دورانًا مغزليًا حول محورها المركزي كما يحدث في الكواكب التي تدور حولها، لكن هذا الدوران ليس بالسهولة أو الانسيابية التي تدور بها الأرض حول نفسها لأن الشمس ليست كتلة صلبة وهذا يسبب انحرافات مغناطيسية تظهر كبقع شمسية داكنة فوق سطح الشمس. وهذا التعقيد في الحقل المغناطيسي شديد بدرجة تجعله ينكمش ويجعل القطبين الشمالي والجنوبي يتبادلان مكانيهما. تتكرر هذه العملية بصفة مستمرة ويطلق عليها دورة الشمس Solar Cycle (تستغرق الدورة الكاملة ٢٢ سنة). وكشف علم الفلك الحديث أن الشمس تنجذب باتجاه مركز مجرتنا (درب التبانة)، بل وتدور حوله بشكل دقيق ومحسوب بسرعة ٢٢٠كلم/ثانية، وتستغرق حوالي ٢٥٠ مليون سنة لتكمل دورة كاملة، وقد أكملت ١٨ دورة فقط خلال عمرها البالغ ٤,٦ مليارات سنة.

لا تتبع إلا القانون الذي وضعه لها خالقها

وحيث إن مدار الأرض حول الشمس على شكل قطع ناقص تحتل الشمس إحدى بؤرتيه فإن المسافة بين الأرض والشمس تزيد وتنقص عن هذه القيمة المتوسطة بمقدار ٤,٢ مليون كيلومتراً .. ففي يوم ٣ يناير (كانون الثاني) تصبح الأرض أقرب ما يكون إلى الشمس، إذ تبلغ المسافة بينهما١٤٧ مليون كيلومتر، وتسمى النقطة التي تحتلها الأرض حينئذ بالحضيض Petihelion، وفي يوم ٤ يوليه (تموز) تكون الأرض أبعد ما يكون عن الشمس، وتبلغ المسافة بينهما ١٥٢ مليون كيلومتر، وتكون الأرض في هذا الوضع في نقطة الأوج Aphelion.

والتعبير القرآني «يَسْبَحُونَ» «وتجري» يتناسب تماماً مع ما أسفرت عنه الدراسات الفلكية الحديثة عن مدار الشمس وحركتها فيه، حيث يبدو المدار كمجرى نهر River Stream وتظهر فيه الشمس كجسم يسبح. كما كشفت عن حركة اهتزازية للشمس للأعلى وللأسفل، تبدو معها وكأنها تصعد وتنزل وتتقدم للأمام، ويستغرق صعود الشمس وهبوطها قرابة ٦٠ مليون سنة من إجمالي دورتها التي تستغرق ٢٥٠ مليون سنة.

أما قوله تعالى ﴿*لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا*﴾، قال ابن كثير–رحمه الله–» وقوله جل جلاله ﴿*والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم*﴾ في معنى قوله ﴿*لمستقر لها*﴾ قولان: القول الأول أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش (...). القول الثاني أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزماني قال قتادة « لمستقر لها « أي لوقتها ولأجل لا تعدوه وقيل المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء إلى مدة لا تزيد عليها يروى هذا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

خلق عظيم أعظم من أن يتأثر بموت أحد

وهناك قول ثالث يستنبط من قراءة ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما «والشمس تجري لمستقر لها»

أي لا قرار لها ولا سكون بل هي سائرة ليلاً ونهارًا لا تفتر ولا تقف كما قال تبارك وتعالى» وسخر لكم الشمس والقمر دائبين « أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة « .

ويضيف علم الفلك الحديث قول رابع ، فمن خلال دراسة المسار الذي يجب أن تسلكه المراكب الفضائية للخروج خارج النظام الشمسي تبين أن الأمر ليس بالسهولة التي كانت تظن من قبل. فالشمس تجري بحركة شديدة التعقيد لا تزال مجهولة التفاصيل حتى الآن، ولكن هنالك حركات أساسية للشمس ومحصلة هذه الحركات أن الشمس تسير باتجاه محدد لتستقر فيه، ثم تكرر دورتها من جديد، وقد وجد العلماء أن أفضل تسمية لاتجاه الشمس في حركتها هو «مستقر الشمس» Solar Apex.

الوصف الثالث: ﴿*الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ*﴾ (الرحمن:٥) قال القرطبي-رحمه الله-»أي يجريان بحساب معلوم فأضمر الخبر، قال ابن عباس وقتادة وأبو مالك: أي يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها. وقال ابن زيد وابن، كيسان: يعني أن بهما تحسب الأوقات والآجال الأعمار، ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليل أو نهار. وقال السدي: «بحسبان» تقدير آجالهما أي تجري بآجال كآجال الناس، فإذا جاء أجلهما هلكا، نظيره: ﴿*كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى*﴾ [الزمر:٥]، وقال الضحاك: بقدر، وقال مجاهد: ﴿*بِحُسْبَانٍ*﴾ كحسبان الرحى يعني قطبها يدوران في مثل القطب.

وقال ابن كثير-رحمه الله-أي يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب ﴿*لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ*﴾ (يس:٤٠). وقال تعالى: ﴿*فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ*﴾(الأنعام:٩٦).

ليست إلا نجماً عادياً من كون عظيم

والشمس نجم متوسط الحجم من النجوم العادية، يبعد عن الأرض بمسافة مائة وخمسين مليون كيلو متر في المتوسط، وهي علي هيئة كرة من الغاز الملتهب يبلغ قطرها ١,٤٠٠,٠٠٠ كيلو متر(أي ما يزيد علي ١١٠ مرات قدر قطر الأرض)، ويبلغ حجمها ١٤٢,٠٠٠ تريليون كيلو متر مكعب (أي قدر حجم الأرض ١,٣٠٠,٠٠٠ مرة)، ويقدر متوسط كثافها بنحو١,٤ جرام للسنتيمتر المكعب، وتقدر كتلتها بنحو ألفي تريليون تريليون طن (أي٣٣٣,٠٠٠ مرة قدر كتلة الأرض)، كما تقدر جاذبيتها بنحو٢٨ ضعف قوة الجاذبية على سطح الأرض.

الشمس سراج وهاج والقمر كوكب منير

وتدور الأرض حول الشمس من الغرب إلى الشرق في فلك (مدار) بيضاوي الشكل طوله ٦٠٠ مليون ميل، وهي محافظة على ميل محورها بمقدار ١/٢ ٢٣ درجة وثبات هذا الميل في اتجاه واحد. وتتم الأرض دورتها حول الشمس في ٣٦٥ يوما وربع يوم. وبانتهاء كل دورة تنتهي سنة أرضية. وتقسم الشهور بواسطة البروج التي تمر بها الأرض في أثناء جريها في مدارها حول الشمس.

ونتيجة لميل محور الأرض أثناء دورانها حول الشمس تختلف زاوية سقوط أشعة الشمس على المكان الواحد من الأرض بين شهر وآخر، ويتبع ذلك اختلاف درجات الحرارة والأحوال المناخية من شهر إلى شهر، أي حدوث الفصول الأربعة وهي:

١- *الانقلاب الصيفي*: يحدث في ٢١ يونيو (حزيران) عندما تتعامد أشعة الشمس على مدار السرطان في نصف الكرة الشمالي، أي حين يكون الطرف الشمالي لمحور الأرض مائلاً نحو الشمس، فيحل الصيف في نصف الكرة الشمالي ويطول النهار ويقصر الليل، ويحل الشتاء في نصف الكرة الجنوبي ويقصر النهار ويطول الليل.

تنطلق منها ٢٠ مليون قنبلة نووية كل بضعة دقائق

٢- *الاعتدال الخريفي*: ويحدث في ٢٣ سبتمبر (أيلول) حين تتعامد أشعة الشمس على خط الاستواء، فيحل الخريف في نصف الكرة الشمالي ويحل الربيع في نصف الكرة الجنوبي ويتساوى الليل والنهار في جميع أنحاء الأرض.

٣- *الانقلاب الشتوي*: ويحدث في ٢١ ديسمبر (كانون الأول) عندما تتعامد أشعة الشمس على مدار الجدي في نصف الكرة الجنوبي، أي حين يكون الطرف الشمالي لمحور الأرض مائلاً بعيدًا عن الشمس، والطرف الجنوبي مائلاً نحو الشمس، ويحل الشتاء في نصف الكرة الشمالي ويقصر النهار ويطول الليل، ويحل الصيف في نصف الكرة الجنوبي ويطول النهار ويقصر الليل.

٤- *الاعتدال الربيعي*: ويحدث في ٢١ مارس (آذار) حين تتعامد أشعة الشمس على خط الاستواء من جديد، فيحل الربيع في نصف الكرة الشمالي والخريف في نصف الكرة الجنوبي، ويتساوى الليل والنهار في جميع أنحاء الأرض. فكون الأرض تدور دورتها هذه حول نفسها أمام الشمس، وكون القمر بهذا الحجم، وبهذا البعد من الأرض، وكون الشمس كذلك بهذا الحجم، وهذا البعد، وهذه الدرجة من الحرارة...هي تقديرات من(العزيز) ذي السلطان القادر (العليم) ذي العلم الشامل... ولولا هذه التقديرات ما انبثقت الحياة في الأرض على هذا النحو، ولما انبثق النبت والشجر، من الحب والنوى... إنه كون مقدر بحساب دقيق. ومقدر فيه حساب الحياة، ودرجة هذه الحياة، ونوع هذه الحياة... كون لا مجال للمصادفة العابرة فيه.... فتقدير حجم وكتلة الشمس بهذه الدقة البالغة هو الذي مكنها من تحقيق هذا التوازن الدقيق بين قوى الدفع إلى الخارج، وقوى التجاذب إلى الداخل، ومن البقاء في حالة غازية أو شبه غازية، ملتهبة، متوهجة بذاتها، ولو تغير

حرارة الرياح الشمسية مليون درجة مئوية

حجم وكتلة الشمس ولو قليلاً لتغير سلوك مادتها تمامًا، أو انفجرت أو انهارت على ذاتها. وينتقل الإشعاع الشمسي إلى الأرض بسرعة تقدر بنحو ٣×١٠٥ كيلومتر في الثانية(٣٠٠ ألف كم/ثانية)، وبذلك فإنه يستغرق حتى يصل إلى الأرض ٨,٣٣ دقيقة، ولا تلتقط الأرض إلا قدرًا ضئيلاً جدًا من الإشعاع يقدر بحوالي ٢×١٠-٩ من المجموع.

وهذا القدر على ضآلته إلا أنه مقدر تقديراً حكيماً، فهو كاف لإتمام سائر العمليات الأحيائية على ظهر الأرض، كما أن موقع الشمس إلى الأرض والمسافة الفاصلة بينهما مظهر آخر من مظاهر دقة التقدير الذي من دلائله حركة الشمس بين نقطتي الأوج والحضيض، حيث يتوافق وقوع الأرض في الحضيض (أي قريبة من الشمس). مع أبرد أيام السنة (٣ يناير)، في نصف الكرة الشمالي، كذلك حدوث فصل الصيف الجنوبي في الوقت نفسه .. ويرجع ذلك إلى أن العامل، الذي يتحكم في درجات الحرارة على سطح الأرض خلال فصول السنة، هو زاوية سقوط أشعة الشمس، وليس المسافة، التي تقطعها تلك الأشعة في الفضاء حتى تصل إلى الأرض .. إذ أن الأشعة، التي تسقط عمودية على سطح الأرض، تعطي ضعف الطاقة على السنتيمتر المربع عن تلك التي تعطيها الأشعة التي تسقط بزاوية قدرها ٣٠ .

الوصف الرابع: ﴿*هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا*﴾ (يونس:٥) وصفت آيات القرآن الشمس بأنها ذات ضياء وضحى، فقال تعالى: ﴿*هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً*﴾ (يونس:٥)، وقال أيضاً: ﴿*وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*﴾ (الشمس:١)، بينما أثبتت للشمس النور، فقال عز وجل: ﴿*وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا*﴾ (الفرقان:٦١)، وقال أيضاً: ﴿*وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا*﴾ (نوح:١٦)، وقال: ﴿*وَالْقَمَرَ نُورًا*﴾ (يونس:٥)

وهنا نجد تشبيهاً علمياً دقيقاً، فالشمس هي سراج، والسراج يحرق الزيت ويصدر الضوء والحرارة، والشمس تقوم بالعمل ذاته فهي تحرق الهيدروجين وتدمجُه (بشكل نووي) لتصدر الضوء والحرارة أيضاً. أما القمر فلا

يقوم بأي عمل من هذا النوع بل هو كالمرآة التي تعكس الأشعة الشمسية الساقطة عليه فيردَّ جزءاً منها إلى الأرض بمراحل متعاقبة على مدار الشهر. فحجم الأشعة المنعكسة من القمر للأرض ليس ثابتاً، بل يتغير مع أيام الشهر بنظام دقيق ومحسوب.

الوصف الخامس: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (النبأ:١٣) السراج هو آلة لحرق الوقود وتوليد الضوء والحرارة، وهو ما تقوم به الشمس، فتبلغ درجة حرارة سطحها المتوهج (الفوتوسفير) 6000 Photospere درجة مئوية، بينما تبلغ درجة حرارة الداخل حوالي ١٣,٠٠٠,٠٠٠ (١٣ مليون) درجة مئوية. وتذكر بعض المراجع الأخرى أن درجة حرارة باطن الشمس قد تكون ١٥ أو ٢٠ مليون درجة مئوية، وعند هذه الدرجة من الحرارة تحدث التفاعلات الحرارية Thermo–nuclear Reactions ، حيث يتحول عنصر الهيدروجين (H) إلى عنصر الهليوم (He) وهذه التفاعلات هى مصدر إمداد الشمس بالطاقة.

ستضمحل الشمس حين تستهلك وقودها النووي من الهيدروجين

ويتركب جسم الشمس من ثلاث طبقات بيانها كالتالي:

١- نواة مركزية يصل طول نصف قطرها إلى ٢٠٠ ألف كم أي ما يعادل ٢٨,٧٦٪ من نصف قطر الشمس، وضمن هذه النواة تجري التفاعلات الحرارية الذرية كلها، ويصل الضغط فيها إلى أكثر من ٢٢٠ مليار ضغط جوي، وهى نطاق التفاعلات الحرارية الذرية .

٢- طبقة متوسطة: درجة حرارتها ليست كافية لحدوث التفاعلات الحرارية الذرية، وتتحرك الطاقة ضمن هذه الطبقة نحو الخارج بواسطة الإشعاع فهى نطاق مشع – Zone R diation يصل طول نصف قطرها الخارجي إلى ٤٥٠ ألف كم.

٣- طبقة خارجية: تصل سماكتها إلى نحو ٢٠٠ ألف كم، وتتناقص درجة الحرارة باتجاه الأطراف والهوامش والسطح بصورة محسوسة جداً، لدرجة تبدو معها المادة الكونية شديدة الامتزاج والخلط بفضل تيارات الحملان المهمة، التي تلعب دوراً جوهرياً أيضاً في مجال نقل الطاقة نحو الخارج. ولعل من مظاهر الإعجاز في قول الله تعالى «سِرَاجًا وَهَّاجًا» والتي تعني دورية الحدث جامعيتها؛ حيث تشمل كل معاني ظاهرة النشاط الشمسي التي تشمل الظواهر الدورية وغير الدورية، والتي تشمل: النبض الشمسي (نبض يشبه التنفس ويحدث لسطح الشمس بمعدل مرة كل ساعتين و٤٠ دقيقة)–البقع الشمسية–الرياح الشمسية–الانفجارات الشمسية.

مظاهر النشاط الشمسي:

١- **البقع الشمسية Solar Spots:** تعتبر من أوضح الاشارات للنشاط الشمسي وهي تظهر كبقع داكنة على سطح الشمس تكون أحياناً واضحة للعين المجردة ، ولأنها تبعث أشعة أقل من الفوتوسفير الذي يجاورها فإن درجة الحرارة فيها تكون أقل مما جاورها لأن الغاز الأقل حرارة يكون أقل إشعاعاً . فدرجة البقع تقريباً ٣٨٠٠ بينما حرارة الفوتوسفير المجاور تساوي تقريباً ٥٠٠٠ تحتوي البقع على مراكز داكنة تدعى منطقة الظل Umbra وتحاط بما يسمى بمنطقة أقل عتامة شبه الظل Penumbra .

أما حجم البقع فقد يبدأ صغير ثم خلال أيام يزداد إلى أن تصل إلى حجم أكبر بكثير من حجم الأرض.واتضح أن العدد المتوسط للبقع الشمسية يقل ويزيد بين ١٠–١٢ سنة، ففي خلال إحدى عشر سنة تخضع الشمس للعديد من النشاطات الشمسية حيث يزيد فيها عدد البقع الشمسية بكمية ملحوظة بالإضافة إلى العديد من الظواهر المصاحبة لها كالانفجارات الشمسية والمقذوفات الشمسية والتي جميعها لها تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة على الأرض حيث تسمى هذه الفترة بفترة أو قمة النشاط الشمسي Solar Maximum ثم تتُبع فترة النشاط الشمسي بفترة زمنية– أيضا ١١ سنة–يقل فيها عدد البقع الشمسية وكذلك الظواهر المصاحبة لها تسمى بفترة الهدوء الشمسي Solar Minimum حيث تشكل مجموعة هاتان الدورتان ما يعرف بالدرة الشمسية Solar cycle. –

٢- **الإنفجارات الشمسية** Solar Explosions: تعد الأنفجارات الشمسية هي أقوى الأنفجارات قاطبة في المجموعة الشمسية ، حيث تنطلق منها طاقة تصل إلى قرابة ٢٠ مليون من القنابل النووية الكونية (ذات ١٠٠ ميجا طن) إلى ما يقارب ٣٢١٠ إرج ، وذلك في فتره قدرها من ١٠٠ إلى ١٠٠٠ ثانيه .

ويمكن تعريف الانفجارات الشمسية على أنها انطلاق الطاقة المخزونة في المجالات المغناطيسيه، والتي تصل في الانفجارات الكبيرة إلى ٣٢١٠ أرج في دقائق معدودة، وفى مساحة مقدارها ١٨١٠ سم٢ (أي ما يقارب ١٠ ثواني قوسيه).ومع أن مقدار الطاقة الكبيرة جداً إلى أنها مقارنه بطاقة الشمس الكلية فهي تصل إلى ٤٠\١ من الثانية من الطاقة المنطلق من الشمس . وعند مقارنه هذه الانفجارات مع تلك في النجوم الأخرى فأنها لا تقارن ، خاصة أن بعضها يظهر تأثيره في منحنيات الضوء لتلك النجوم التي لا ترى ولا ترصد سوى كنقط ضوئية على صفحه السماء.

٣-**الرياح الشمسية** Solar Storm: سيل عارم من الجسيمات تنطلق من الإكليل الشمسي بحرارة مليون درجة وبسرعة ٤٥٠ كم/ث، وتتجاوز الرياح مدار بلوتو (حوالي ٥٩٠٠ مليون كم). وقد اكتشفت عن طريق الأقمار الصناعية، عند مرورها بأوج مساراتها، ثم بعد ذلك بقليل، بوساطة مركبات الفضاء التي أطلقت إلى القمر والزهرة. ومن المحتمل أن الرياح عبارة عن غاز انطلق منبثقا من طبقة الشمس الخارجية المعروفة باسم الكورونا Corona أو الإكليل، وهي عظيمة السرعة جدا، إذ تبلغ سرعتها عادة نحو ٣٢٠ كيلومترا في الثانية، وقد تشتد حتى تبلغ ٨٠٠ كيلومتر في الثانية مع أعاصير الشمس. وحيث تتقابل الرياح الشمسية مع الماجنيتوسفير، تتكون طبقة من الغاز عظيمة الدوامات، سمكها نحو ١٦٠ كيلومترا، تبتعد عن الأرض تارة، وتقترب منها تارة أخرى، تبعا لشدة الرياح . (...)

الوصف السادس: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير).

قال ابن كثير–رحمه الله–: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» يعني أظلمت، وقال العوفي عنه: ذهبت، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت، وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها». وقال القرطبي–رحمه الله–» وأصل التكوير: الجمع، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أي لاثها وجمعها فهي تكور ويمحى ضوءها».

والواقع هو أن الحرارة والضغط المرتفعان جدًا في باطن الشمس وهي شروط مثالية لإطلاق تفاعلات اندماجية حيث تتهيج الذرات وتفلت الإلكترونات من سيطرة النواة وتصبح النواة بحالة من فرط الحركة الشديدة وتكون مستعدة للاندماج. والتفاعلات الاندماجية تدفع الحدود الخارجية للنجم وتعمل على تمدده .وبذلك تعاكس قوى الجذب الثقالي نحو المركز التي يعاني منها كل نجم حسب قانون الجاذبية ويبقى هذا التوازن مادامت التفاعلات النووية قائمة.

ويذكر معجم العلم (١٩٧٤) أن الشمس تتركب كيميائيا من حوالي ٩٠٪ أيدروجين و٨٪ هليوم وفقط ٢٪ من العناصر الثقيلة . وقد تعدل هذا التركيب الكيميائي للشمس على النحو التالي، فمن خلال قياسات حقلية معاصرة للتركيب الكيميائي للشمس والذي نعرفه حاليا تتركب الشمس كيميائيًا من العناصر التالية : أيدروجين بنسبة ٧٥٪، هليوم بنسبة ٢٤٪ وعناصر ثقيلة بنسبة ١٪، فكل أربع ذرات من الأيدروجين تندمج مع بعضها نوويًا تحت تأثير الضغط الهائل والحرارة الشديدة لتكون في النهاية ذرة واحدة من غاز الهليوم، وهذا الفرق في الوزن في المادة يتحول إلى طاقة هائلة تشمل الطاقة الضوئية والإشعاعية والحرارية. وحينما تستهلك الشمس وقودها النووي من الأيدروجين ويتحول هذا الوقود إلى غاز الهليوم وعناصر ثقيلة أخرى ، فإن الشمس يصغر حجمها بمقدار كبير وتزداد كثافة مادتها كثيرًا ويخف ضوؤها وتسمى حينئذ بالنجم النيتروني.

فسبحان الخالق المبدع الذي أعطى في قرآنه الكريم أوصافاً للشمس دقيقة لم تحد عنها الاكتشافات العلمية قيد أنملة.

---

* مدرس مساعد–كلية الآداب–جامعة المنوفية. وللراغبين بمتابعة البحث بكامله مراجعة الموقع: www.quran-m.com

إطفاء المصابيح ليلاً إعجاز نبوي يقي من التلوث الضوئي

د. هشام عبد الرحمن حسن عبد الرحمن*

ملخص البحث:

أمرنا الحبيب مُحمد صلى الله عليه وسلم بإطفاء المصابيح بالليل، وبعد سنوات عديدة من البحث العلمي حول تأثير الضوء على الإنسان والبيئة، قال العلم صدق رسول الإسلام، فإظلام المصابيح إعجاز نبوي يقي الإنسان وبيئته من التلوث الضوئي الذي ينشأ من التعرض الزائد للضوء في الليل.

النص المعجز:

حذرنا الحبيب صلى الله عليه وسلم من خطر المصابيح إذا تركناها موقدة عند النوم وذلك في عدد كبير من الروايات، منها ما ذكر علة التحذير وهي الخوف من الاحتراق بنارها، ومنها ما جاء بدون ذكر لعلة الأمر بإطفاء المصابيح لتعم النصيحة والرحمة النبوية كل المخلوقات في كل زمان ومكان:

أولاً: الروايات التي ذكرت علة إطفاء المصابيح عند النوم (الخوف من النار):

كثيرة هي الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الشأن نذكر بعضها القليل:

الرواية الأولى:

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (لاَ تَتْرُكُوا النَّارَ

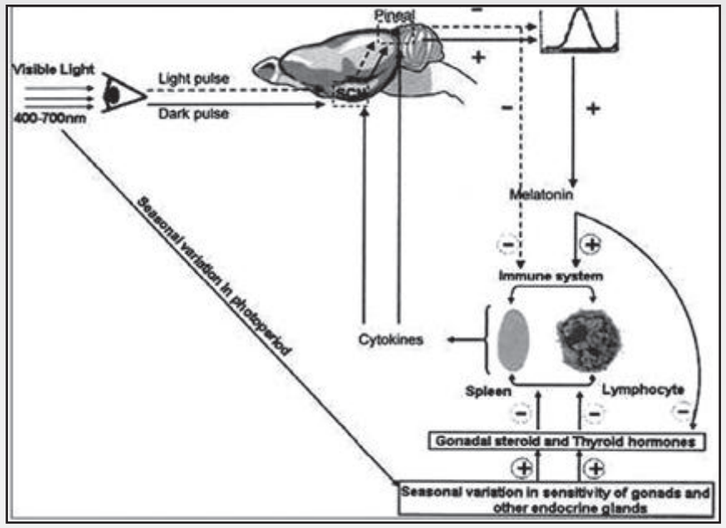

صورة رقم ١- رسم تخطيطي يوضح دور الضوء في تثبيط و إفراز هرمون الميلاتونين و تأثير هذا على الجهاز المناعي (C. Haldar ×، R. Ahmad 2009)

فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُون) متفق عليه.

الرواية الثانية:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاء حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ (احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِه مِنْ اللَّيْلِ فَحُدِّثَ بِشَأْنِهِمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ هَذِه النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُم) رواه البخاري.

الرواية الثالثة:

عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا

السراج. فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابا، ولا يكشف إناء. فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودا، ويذكر اسم الله، فليفعل. فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم) رواه مسلم.

ثانيا: الروايات التي لم تذكر علة اطفاء المصابيح عند النوم: ونذكر بعضاً منها:

الرواية الأولى:

حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ أَبِي عَبَّادٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا عَطَاءٌ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ قَالَ هَمَّامٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَلَوْ بِعُودٍ يَعْرُضُهُ) رواه البخاري.

الرواية الثانية:

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إذا كان جنح الليل، أو أمسيتم، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم) متفق عليه.

ثالثاً-ملاحظات حول الأحاديث (خصوصًا علة إطفاء المصابيح عند النوم):

لا نستطيع أن نقول أنه بانتهاء علة الخوف من الاحتراق بالنار المذكورة في بعض الروايات أننا نستطيع أن نترك العمل بالحديث عند التعامل مع المصابيح الكهربائية أو غيرها من وسائل الإضاءة الحديثة، لأن هناك روايات أخرى أتت على سبيل العموم لتشمل كل أنواع الإضاءة (أطفئوا المصابيح) و لتدل على وجود علل أخرى غير النار، والتي قد تظهر في المستقبل وليس لعلة النار فقط.

سكون الليل يفترض إطفاء الضوء

ومما يؤكد على صحة ما ذهبت إليه من أن لإطفاء المصابيح عند النوم علل أخرى غير النار كعلة الخوف من ضوئها، أن ظلمة الليل سنة كونية أكدت عليها الشريعة الإسلامية في أكثر من موضع ومنها قوله تعالى ﴿*وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً*﴾ [٤٧ الفرقان]، وعليه فالروايات التي أتت على سبيل العموم لتشمل كل أنواع الإضاءة (أطفئوا المصابيح)، قد جاءت لتؤكد على أهمية تحقق الظلمة في الليل لغرض النوم ولأغراض أخرى سوف نبينها في هذا البحث بإذن الله تعالى.

خطر إبقاء المصابيح مضاءة ليلاً لا يقتصر على التسبب بالحريق

كما أتى الأمر النبوي مرة بإطفاء النار ومرة بإطفاء السراج وأخرى بإطفاء المصابيح، ولا تعارض بينها لأنه في وقت وعصر المصطفى عليه الصلاة والسلام كان السراج أو المصباح على هيئة شعلة من النار (فتيلة توقد بالزيت). فحينما أراد النبي صلى الله عليه وسلم التحذير الخاص من الاحتراق من المصابيح استخدم كلمة النار، وعندما أراد تعميم التحذير من كافة أشكال الإضاءة التي تعتمد على النار وعلى غير النار استخدم صلى الله عليه وسلم كلمتي المصابيح والسُرُج، ومعروف أن كلمة مصباح تستخدم لكل ما يستضاء به قال تعالى ﴿*وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ*﴾ [الملك٥]. وكذلك كلمة سراج تستخدم للاستضاءة كما في قوله تعالى ﴿*وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً*﴾ [نوح ١٦].

وإطفاء المصابيح أو السُرُج معناه تغطيتها عن الهدف الذي تضيئه بالإضافة إلى إخماد نارها إن كان لها نار.

رابعاً-الهدف من البحث:

سنركز في الأحاديث السابقة على نقطة واحدة ألا وهي إطفاء السُرُج أو المصابيح عند النوم، ومع أن هناك العديد من الآيات التي تتناول أهمية النوم والسكن في الليل عملاً بالسنة الكونية التي أجراها الله على عباده ﴿*هُوَ الَّذِي*

بعض المجتمعات تبالغ في الإضاءة ليلاً

جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ يونس٦٧، وقال تعالى ﴿ *أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ* ﴾ النمل٨٦، وقال تعالى ﴿ *اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ* ﴾ غافر٦١، إلا أن هذه الآيات لم تنهانا عن التعرض لضوء السُرُج أو المصابيح عند النوم ليلاً، فقد ألتزم بالسنة الكونية فأنام بالليل وأعمل بالنهار، و لكن أحب النوم ليلاً في ضوء المصابيح، وأحب أن تكون كل شوارع المدينة مضيئة في الليل.

فجاء قول الله تعالى ﴿ *وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً* ﴾ ٤٧ الفرقان، ليؤكد على أهمية النوم في الظلام التام، فربط المولى تبارك وتعالى بين النوم السبات وبين جعله الليل لباسًا، ليدل على أهمية الظلمة التامة للحصول على النوم السبات، قال الطبري في تفسيره ﴿ *وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً* ﴾ أي سترًا يستترون به كما يستترون بالثياب التي يكسونها.

ومع أن الآية السابقة بينت نعمة لباس الليل وأهمية هذه النعمة للنوم السبات، إلا أن هذه الآية أيضًا لم تنهانا صراحة عن قطع لباس الليل بضوء المصابيح، ولما كان الإسلام هو دين الكمال الذي يدل الناس على كل خير وينهاهم عن كل شر، فقد جاءت السنة النبوية المكملة للقرآن بالنهي الصريح عن التعرض للمصابيح عند النوم في الليل ﴿ *أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ* ﴾، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم لينهانا عن شيء إلا لعلمه بأن له من الأضرار العاجلة والآجلة أضعاف ما قد يحققه من النفع العاجل.

فهل أثبت العلم الحديث أن التعرض لضوء المصابيح في الليل له أضرار على الإنسان وبيئته، وما هي هذه الأضرار على الإنسان وبيئته، هذا ما سوف نتناوله في هذا البحث بإذن الله تعالى.

خامساً-الحقيقة العلمية:

يعتبر مصطلح التلوث الضوئي من المصطلحات الحديثة التي لم تكن في قاموس الإنسانية، وهو أحد أنواع الملوثات البيئية الحديثة التي تسبب فيها إنسان العصر الحديث، بسبب الإسراف الزائد في استعمال الضوء الصناعي داخل وخارج البيوت، وفي تحويل ليل المدن إلى نهار صناعي، مما أثر سلبًا على الإنسان وبيئته. فقد بدأت إضاءة الليل اصطناعياً بواسطة الكهرباء، تقلق طمأنينة الحياة، و تمزع لباس الليل الذي عهدته الكرة الأرضية منذ أن جعل الله الليل سكنًا والنهار نشورًا، وتعاقب الليل والنهار، وتآلفت الكائنات طبيعياً (وضمنها الإنسان) بهذا التعاقب الدوري، فسكنت الحياة ليلاً، وازدهرت بسعي أغلب الكائنات الحية على معاشها نهاراً.

ومع اكتشاف المصباح الكهربائي بدأ الخلل في ميزان التعاقب الدوري لليل والنهار، وتفاقم هذا الخلل حتى وصل ذروته في عصرنا الحديث بعد أن صمم الإنسان بجهل شديد على إنارة كافة البيوت والتجمعات السكنية بشكل مبالغ فيه. و بعد عقود من الاستعمال الغاشم للإنارة الصناعية، ظهر للإنسان أن الإنارة الكهربائية بالرغم من كل ما لها من منافع إلا أنها لا تخلو من المساوئ، وظهر مصطلح «التلوث الضوئي» Light Pollution لوصف الآثار السلبية المترتبة على أنواع الإنارة الاصطناعية على الإنسان وبيئته.

أضرار الافراط في الإضاءة

١ . أثر التلوث الضوئي على صحة الإنسان

أثبتت الأبحاث العلمية أن التعرض للضوء سواء الطبيعي أو الصناعي يزيد من نشاط الإنسان، وهذا من فوائد الضوء، ولكنها أثبتت أيضًا أن زيادة فترة التعرض للضوء لها أضرار على الإنسان، ومن هذه الأضرار:

تؤدي المبالغة في الإضاءة إلى التلوث الضوئي

أ: زيادة نوبات الصداع، والشعور بالإرهاق، والتعرض لدرجات مختلفة من التوتر، وزيادة الإحساس بالقلق.

من المعروف أن الإضاءة المفرطة تعتبر عاملاً مباشراً ومهماً في التعرض لنوبات الصداع النصفي الحاد. وفي إحدى الدراسات المسحية، احتل فرط الإضاءة المرتبة الثانية على قائمة الأسباب التي تؤدي لحدوث نوبات الصداع النصفي بين المصابين. بينما كان فرط الإضاءة هو السبب الرئيسي في الإصابة بنوبات الصداع النصفي بين ٤٧٪ من بين جميع المصابين بهذا المرض. ولا تتوقف العلاقة بين الصداع وبين الإضاءة على درجة الشدة فقط، بل أيضاً على نوع الطيف الضوئي المستخدم، كما في حالات الاعتماد على الضوء الفلوريسنت (fluorescent light) بدلاً من ضوء الشمس. هذا الاختلال الطيفي، بالإضافة إلى شدة الإضاءة، يعتبران معاً عاملين مهمين في زيادة الإحساس بالإرهاق، وخصوصاً بين من يقضون ساعات طويلة في العمل تحت مثل هذا النوع من الإضاءة. نفس هذه الظروف الضوئية، تؤدي أيضاً إلى زيادة واضحة في معدلات الشعور بالقلق والتوتر. حيث أثبتت الدراسات الطبية بالفعل، وجود ارتفاع في معدلات التوتر بجميع أعراضه وعلاماته الطبية، بين العاملين في أماكن أو القاطنين لمنازل، تستخدم فيها إضاءة مفرطة، وخصوصاً من نوع الفلوريسنت.

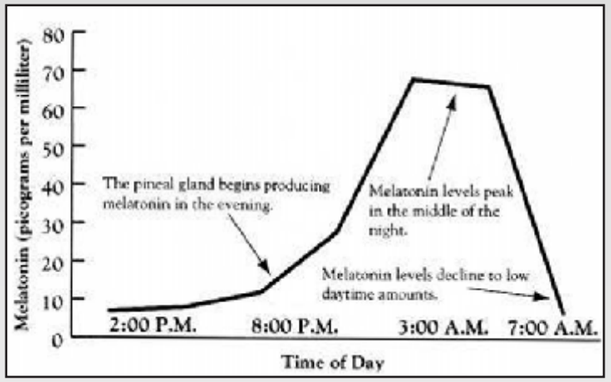

(صورة 2): يزداد هرمون الميلاتونين في الليل و يقل في الصباح بشكل حاد

ب: ارتفاع ضغط الدم

يعتقد العلماء أن ارتفاع ضغط الدم في هذه الحالات، ينتج بشكل غير مباشر من زيادة مستوى التوتر الذي يتعرض له المعرضون لفرط الإضاءة. فالمعروف أن زيادة مستوى التوتر، تؤدي إلى إفراز الجسم لهرمون الأدرينالين، والمسئول عن وضع الجسم في حالة من التأهب والاستعداد، من خلال تغيرات بيولوجية وفسيولوجية عديدة، مثل رفع ضغط الدم وزيادة ضربات القلب.

ج: تثبيط جهاز المناعة:

وجد بعض الباحثين (C. Haldar ×، R. Ahmad 2009) أن الضوء يؤثر على جهاز المناعة من خلال تأثيره على العين ثم المخ ثم الغدة الصنوبرية (صورة ١)، وكذلك من خلال نفاذية الضوء لسطح الجلد. حيث كلما زاد الطول الموجى زادت درجة النفاذية عبر النسيج البصري والنسيج الجلدي. كما وجد البعض الآخر (C. Haldar ×، R. Ahmad:2008) أن الخلايا الليمفاوية في الدم تنتج هرمون الميلاتونين الذي يقوم بتنشيط المناعة، وأن هذا الإنتاج يتأثر بالضوء، حيث يثبط الضوء الذي ينفذ من الجلد ويصل للخلايا الليمفاوية التي تسير في الدم قرب سطح الجلد قدرة هذه الخلايا على تكوين وإفراز الميلاتونين مما يؤدي الى نقص المناعة بطريقة غير مباشرة، كما وجدوا أن تعرض الجلد لفترت من الظلام يقوي من مناعة الجسم .

إستمرار الإضاءة يؤدي إلى الصداع والإرهاق والتوتر

د: التأثير الضار للضوء على الجلد

وجد بعض الباحثين (Mahmoud BH، et al:2008) أن للطيف المنظور من الضوء تأثير ضار على الجلد حيث يؤدي إلى احمرار الجلد وتبقعه والتدمير الحراري لخلايا الجلد وكذلك إنتاج الشوارد الحرة هذا بالإضافة إلى التدمير غير المباشر للحمض النووي في خلايا الجلد الناتج عن الأكسجين النشط . كما اثبت البعض الآخر (Andrzej Slominski،et al:2005) أن للضوء تأثير غير مباشر على الجلد من خلال تأثير الضوء على إفراز الميلاتونين حيث يتأثر الجلد بهرمون الميلاتونين الذي يقوم بدور هام في وظيفة الجلد الحيوية مثل دورة نمو الشعر، ولون الجلد، وتثبيط

سرطان الجلد، كما يعمل على تثبيط تأثير الأشعة فوق البنفسجية التي تدمر خلايا الجلد، وله دور قوي كمضاد للأكسدة. ومن هنا تتضح أهمية فترة الظلام وعدم التعرض للضوء للحفاظ على الجلد وعلى الحمض النووي لخلاياه من التدمير بالشوارد الحرة. وبمساعدة الميلاتونين تبدأ عملية التنظيف من الشوارد الحرة والأكسجين النشط في خلايا الجلد الناتجة عن التعرض للطيف المنظور من الضوء. ليس هذا فحسب إنما فى تقليل الضرر الناتج من الأشعة فوق البنفسجية على الجلد التي يتعرض الإنسان لها نهارًا في ضوء الشمس.

هـ: نقص إفراز هرمون الميلاتونين (Melatonin)

يتم إفراز هرمون الميلاتونين بصورة طبيعية عند دخول الليل بواسطة غدة صغيرة في الدماغ تعرف باسم الجسم الصنوبري (Pineal body)، هذه المادة تنتشر في الدم وتعطي الإنسان الإحساس بالنعاس. تفرز هذه المادة الكيميائية بانتظام لكن يعاني من نقصها كبار السن فنلاحظ أن نومهم مضطرب أكثر من صغار السن الذين تفرز عندهم هذه المادة بوفرة، حيث كلما تقدم الشخص في العمر قل إفراز هذه المادة. إن إفراز هذه المادة يبدأ مع بداية الظلام ويكون إفرازه بسيط ويزداد مع الزمن إلى أن يصل الإفراز ذروته حتى يحين موعد الصباح وتشرق شمس يوم جديد فيتناقص الإفراز بشكل حاد (صورة ٢). و قد وجد أن إفراز هذه المادة يقل بالتعرض للضوء مما يساعد على السهر ويعرض الجسم لعدة أمراض.

سادساً-أهمية هرمون الميلاتونين للجسم:

١. أهمية الميلاتونين كعلاج لاضطرابات النوم : وجد بعض الباحثين (Reiter RJ، Korkmaz A؛ ٢٠٠٨) و (Shadab A. Rahman، et al؛ ٢٠٠٩) أنه عند تعرض الإنسان للضوء يتم تثبيط إفراز هرمون الميلاتونين، حيث تنتقل استجابة شبكية العين للضوء عبر العصب البصري حتى يصل إلى الغدة الصنوبرية التي تقوم بدورها بتثبيط إفراز الميلاتونين مما يؤدى إلى اضطرابات النوم التي من الممكن علاجها بإعطائه لهؤلاء المرضى.

استمرار الضوء يضر بالبشرة

إرتفاع في ضغط الدم وتثبيط جهاز المناعة

٢. أهمية الميلاتونين للجسم كمضاد للأكسدة :

وجد بعض الباحثين (Dominique Bonnefont–Rousselota،b، Fabrice Collin ٢٠١٠) أن الميلاتونين يعتبر من مضادات الأكسدة القوية حيث ثبت أن قدرته تفوق بمعدل خمس مرات قدرة فيتامين سي وهذه درجة تجعل تصنيفه من أقوى مضادات الأكسدة المعروفة. كما أن طبيعته تسمح له بالمرور خلال حواجز الخلايا لذلك يستطيع تقليل التدمير الناشىء عن الأكسدة الناتجة من العمليات الحيوية في الخلية . وبالإضافة لقدرته كمضاد للأكسدة يقوم هو أيضًا بدور غير مباشر وذلك بتنظيم عمل الإنزيمات المضادة للأكسدة.

٣. أهمية الميلاتونين للمخ:

وجد بعض الباحثين (Olcese JM et al؛ 2009) أن الميلاتونين يقلل من حدة مرض الزهايمر و يبطئ من تقدمه، كما وجد البعض الآخر (Juan C. Mayo et al؛2005) أنه ضرورى للوقاية من مرض الشلل الرعاش وكذلك في تحسين فاعلية العلاجات للمرضى .

٤. الميلاتونين مسكن للآلام:

وجدبعض الباحثين(MónicaAmbriz–Tututi،2009) أن الميلاتونين يعتبر مسكنًا للآلام حيث يقلل من الإحساس بالألم من خلال العديد من آليات التفاعلات البيوكيميائية مثل التنشيط غير المباشر لمستقبلات المورفين، وتقليل افراز المواد المسببة للالتهابات بالإضافة إلى عمله كمضاد للأكسدة. ولذلك تتضح أهمية النوم في الظلام لمن يعانون من أمراض ينتج عنها أي نوع من الآلام .

٥. الميلاتونين والوقاية من السرطان:

أظهرت بعض الدراسات الحديثة (David E. Blask 2008) أن العمال في الفترات المسائية والمتعرضين للضوء الصناعي هم الأكثر تعرضًا للإصابة بالسرطان وكذلك لنقص المناعة. كما أظهرت الأبحاث الحديثة (Pauley SM.2004) أن تثبيط الميلاتونين بالتعرض للضوء ليلاً قد يكون سببًا في زيادة معدلات سرطان الثدي والقولون . وقد وجدت العديد من الدراسات و منها (Sánchez–Barceló EJ، et al؛2003) و(Joo SS، Yoo YM et al؛ 2009) أن تأثير الميلاتونين المضاد للسرطان يأتي من طبيعته كمضاد للأكسدة، بالاضافة إلى قدرته على التأثير المباشر على الخلايا السرطانية حيث يثبط الميلاتونين السرطان من خلال التداخل في عدد من المسارات البيوكيميائية، وقد وجد أنه في سرطان الثدي يقوم بدور مباشر على خلايا السرطان كمضاد طبيعي للإستروجين، وفي سرطان البروستاتا يؤدي إلى موت الخلايا السرطانية المبرمج مبكرًا .

الضوء المستمر يخفض إفراز هرمون الميلاتونين

سابعاً- أثر التلوث الضوئي على البيئة

كما تأثر الإنسان بالتلوث الضوئي تأثرت بيئته أيضًا، فهناك العديد من الآثار السلبية للتلوث الضوئي على البيئة ومنها:

أ: اختفاء نجوم السماء

لعل أول المتضررين من الإنارة الليلية هم هواة الفلك وعلماؤه، إذ يسمح ظلام الليل لهم بمراقبة مريحة لأفلاك الفضاء، أما مع الإنارة الليلية فتبدو السماء صفراء اللون ولا تظهر غالبية النجوم بالعين المجردة. وكذلك تعرقل الإنارة عمل ملاحي الفضاء في التصوير الالكتروني للسماء.

نقص الميلاتونين يعني خلل في وظائف عديدة في الجسم

فالتلوث الضوئي يقضي على إمكان رؤيتنا الواضحة للسماء الواسعة المزينة بالنجوم والكواكب ﴿*إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ*﴾ الصافات٦، و أصبح من الصعب الاهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر ﴿*وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ*﴾ النحل١٦، كما أصبح من الصعب رؤية هلال الشهور العربية بالعين المجردة والمراصد الفلكية ﴿*يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ*﴾ البقرة١٨٩، وبسبب الإضاءة الجائرة للمصابيح التي تحيل ظلام الليل إلى نهار أُجبر الفلكيين على أخذ مراصدهم ومغادرة المدن.

ب: الكائنات الحية غير الإنسان

في بحث جديّ أوضحت نتائجه مجلة «ناشيونال جيوجرافيك» ألقي الضوء على ما يعرف بظاهرة «التلوث الضوئي» وآثارها السلبية على كل الكائنات، فأظهرت نتائجه بأن المخلوقات الحية لم تكن بأحسن حالاً من الإنسان، فقصتها السلبية مع التلوث الضوئي لا تقل خطورة عما يحدث للإنسان.

فالعديد من أنواع الأسماك والكائنات البحرية تفقد حياتها وحياة صغارها بسبب التلوث الضوئي، سواء الموجودة بالقرب من شواطئ المسطحات المائية العملاقة، كالمحيطات والبحار المفتوحة، أو تلك الأضواء الموجودة تحت سطح الماء في القاع، لدواعي التنقيب عن ثروات طبيعية أو انتشال حطام سفينة أو طائرة استقرت بسبب الحوادث، في مملكة الكائنات البحرية. هناك أنواع من الكائنات البحرية، مثل السبيط «كلماري» وثعبان البحر، وأنواع من السلاحف البرمائية، والحوت الأزرق، جميعها – وبطريقة فطرية – تأخذ في الدوران بسرعة عالية حول البقع الضوئية في قاع البحار، حتى يحدث لها نوع من الدوار الحاد يتسبب فوراً في نفوقها، الأمر الذي يهدد الثروة السمكية والبحرية، بالإضافة لتلوث قاع البحار، الذي لا ينقذه إلا تجديد ذاته تلقائياً حسب ما هو معروف في علم البحار.

أما طيور البطريق والطيور المهاجرة، فلها مع الأضواء قصص مأساوية، فطيور البطريق، الذكر منها، يضع صغيره بعد أن تلده الأم، تحت تجويف طبيعي في بطنه من الخارج وفوق قدميه، وإذا تعرض الصغير لتلوث ضوئي فإنه ينفق سريعاً، لأنه يحيا في نسبة ظلام طبيعية تفرضها المناطق الثلجية القطبية، التي بدأ الإنسان الوصول إليها وتخريب قوانين الطبيعة فيها. أما هجرة الطيور للتزاوج، وقطع مئات الأميال من مكان لآخر في العالم، فتخضع لنظام البوصلة الطبيعية التي زودها

الله سبحانه وتعالى بها، كنوع من الإعجاز في الخلق، وهذه البوصلة الطبيعية التي تحدد اتجاه الطيران لهجرة هذه الأسراب من الطيور، تفقد فاعليتها بالأضواء الساطعة عند معابر القارات وفوق المسطحات المائية، فتكون النتيجة نفوق أسراب هائلة من الطيور المهاجرة، مما يترتب عليه انقراض بعض أنواعها.

أيضاً تصمت حناجر الطيور المغردة، مثل ما يعرف بـ«الطيور السوداء» ذات الحنجرة الرائعة التي تصدر نغمات طبيعية مغردة، وطيور «العندليب» التي لها القدرة على تنغيم الصوت الموسيقي الطبيعي الصاعد تلقائياً من حنجرتها الواسعة، فهذان الطائران لا يغردان إلاّ وسط الظلام، ليكتمل الإعجاز بالصوت والصورة معاً، فالأضواء الشرسة الصاخبة تخرس أصوات هذه الطيور للأبد، وتنتهي حياتها بعيداً عن الطبيعة والفطرة التي خلقت عليها.

أيضاً تتأثر مملكة الحشرات بالتلوث الضوئي، لأنها تعيش في الظلام النسبي لاصطياد الحشرات الأخرى، وبعض من النباتات التي تقتات عليها، فالضوء نذير بالخطر لكل ما تأكله الحشرات، بحيث تهرب فرائسها، وبالتالي تنقرض الحشرات مثل أنواع من النمل المتسلق والفراشات كبيرة الحجم، أيضاً تقل نسبة تكاثرها الذي يتم في الظلام الهادئ. كما أن الأضواء الصاخبة تقلل من نسبة الخصوبة لدى ذكور التماسيح، والخرتيت «وحيد القرن».

والبحث جارٍ حالياً حول مدى تأثير أضواء النيون الساطعة على نسبة التبويض لدى السيدات، وعلى صحة وحيوية الحيوانات المنوية لدى الرجال، فقد أثبتت الباحثة «ريتش» بأن قوة الضوء الصناعي تُحدث خمولاً في بعض الوظائف الحيوية للإنسان والحيوان معاً. كما تأثر النبات بفعل التلوث الضوئي، لأن الأضواء المباشرة على الأرض تمتص الرطوبة الطبيعية التي تحفظ للأرض سلامتها، وبالتالي تقل نسبة الأراضي الصالحة للزراعة والزهور والاخضرار.

ج: كيف تغلب التشريع البشري على الآثار الضارة للضوء:

بعد أن تنبهت البشرية إلى مخاطر التلوث الضوئي بدأت جميع دول أوروبا وأمريكا وغيرها من بلدان العالم المتحضر في سن القوانين والتشريعات التي من شأنها أن تحمي الإنسان وبيئته من أضرار الإضاءة الليلية الزائدة، وتهدف هذه التشريعات إلى عدم التبذير في استهلاك الكهرباء ليلاً، والتقليل من الهالة الضوئية المنطلقة من المدن، والتي تعيق رؤية النجوم ليلاً. وتمنع هذه التشريعات استعمال نوع من مصابيح الإنارة العمومية التي تنطلق أشعته إلى الأعلى، مع استعمال مصابيح فيها سقف يعكس الضوء نحو الأسفل، مما يساهم في اقتصاد الطاقة وتقليل هالة الضوء المنطلقة نحو الفضاء. ويسعى القانون إلى تحديد نسبة درجة الإنارة التي لا يمكن تجاوزها.

ومن الغريب أن دول العالم الإسلامي وحتى لحظتنا هذه ما تزال تسرف في استخدام الإضاءة ليلاً بالرغم من التحذير النبوي الصريح (أطفئوا مصابيحكم إذا رقدتم بالليل).

ثامناً-وجه الإعجاز العلمي في قول النبي صلي الله عليه و سلم (أطفئوا مصابيحكم عند الرقاد):

إن دقة الحديث النبوي في رواياته العديدة التي تناولت إطفاء المصابيح، والتي تمثلت في الإطلاق والتقييد والتعميم والتخصيص قد غطت كل الأبحاث العلمية التي تناولت هذا الموضوع من كل جوانبه بشكل يذهل العقل. فلو تعرض بحث لضرورة النوم في الظلام ليلاً نجد أن هناك رواية تؤيد هذا وإن تناول بحث آخر أهمية التواجد في فترة من الظلام بصفة دورية دون التقيد بالنوم في هذه الفترة نجد من الروايات ما يؤيد ذلك وإن تناول بحث آخر النوم في أي فترة من اليوم دون الليل لكن في الظلام نجد من الروايات ما يؤيد ذلك. لكن المجمع عليه من كل الروايات والواضح منها هو إطفاء السراج أو النار أو المصابيح في الليل، و هو الموافق لتعريف التلوث الضوئي على أنه زيادة الإضاءة في الليل.

الأحاديث التي جاءت بصيغ العموم دون تحديد لسبب الأمر بإطفاء المصابيح، ولا تحديد الضرر المترتب على بقائها موقدة، شملت كل أنواع الضرر الذي قد يصيب الإنسان أو بيئته من جراء التلوث الضوئي، و كلما اكتشف الإنسان من أضرار جديدة للمصابيح، جاءت اللفظة المعجزة (أطفئوا مصابيحكم) لتعم هذا الضرر. ولذلك فان علماء المسلمين حين قصروا العلة

من إطفاء المصابيح على النار، فقالوا لو زالت هذه العلة فيجوز ترك المصابيح منيرة، نقول لهم في عصرنا الحديث صرنا نعلم أن أضرار المصابيح (الإضاءة) لا تقف عند حد النار وفقط، بل قد تتجاوزه إلى صحة الإنسان وبيئته من خلال التلوث الضوئي، ولذا نقول بحول الله و قوته بأن الأخذ بظاهر الأحاديث التي فيها تعميم دون تقييد بالروايات التي ذكرت علة الحرق بالنار أولى، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفهم وأفقه لأضرار الإضاءة (المصابيح) من أقوال علماء المسلمين، وبالتالي فإن العمل بسنة إطفاء المصابيح عند الرقاد تظل باقية إلى قيام الساعة طالما أننا نكتشف أضرار جديدة للإضاءة غير النار، و طالما أنها موافقة للسنة الكونية التي أرادها رب البرية للكرة الأرضية فقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً) ٤٧.

قبل أن تعرف البشرية مصطلح التلوث الضوئي في العصر الحديث، وقبل أن تبدأ البشرية في سن القوانين التي تحمي الإنسان وبيئته من التلوث الضوئي، جاء التشريع الإسلامي على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، ليحمي البشرية من مخاطر المصابيح الظاهرة على عهده (كالاحتراق بنارها) والخفية التي لم تحدث في عهده (كالتلوث الضوئي)، فقال صلى الله عليه وسلم (أطفئوا مصابيحكم إذا رقدتم بالليل)، ولا يمكن للعقل السليم أن يشك ولو للحظة بأن هذا من كلام البشر، فلماذا يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بهذا الأمر وهم لم يسألوه عنه، ولماذا يغير من عادة العرب في إضاءة المصابيح في الليل وهم لم يشتكوا له من ضررها، ولماذا يتطرق إلى مسألة دنيوية يمكن بحثها بالعلم التجريبي، ولو ثبت خطأه لما صدقه أحد، ولكن لأنه نبي مرسل لا ينطق عن الهوى و لا يتكلم إلا بالوحي فقد سبق كل التشريعات البشرية ووضح الحل الجذري لمشكلة بيئية خطيرة لم يراها على زمنه بكلمات قليلة لو أحسن تدبرها كل الباحثين في مشكلة التلوث الضوئي، والمشرعين للحد من أضرارها لقالوا جميعًا، صدق رسول الإسلام الرحمة المهداة إلى العالمين، فإظلام المصابيح عند الرقاد إعجاز نبوي يقي الإنسان وبيئته من التلوث الضوئي الذي ينشأ من التعرض الزائد للضوء في الليل.

الخاتمة:

إن ما أتينا به هنا ليس إلا على سبيل المثال لا الحصر فأهمية التعرض للظلام أثناء اليوم ما هو إلا موضوع تنبه له العلم حديثًا وهذا مما يتضح هنا من الأبحاث التي تناولته. وقد يتكشف مستقبلاً من الفوائد ما قد لا يتاح حاليًا. وهذا يدفعنا لدعوة العلماء لإجراء الأبحاث حول هذا الموضوع من جوانب عدة وأهميته على صحة البشر وبيئته. وهنا عظمة الإسلام الذي لا يكتفي بإثبات الأبحاث العلمية الدالة على الإعجاز إنما أيضًا في الاستفادة مستقبلاً من توجيه الأبحاث إلى طريق يختصر كثيرًا من الجهد والمال للوصول إلى نتائج مفيدة لحياة الإنسان. وسبحان الله العلي العظيم الذي أخبر نبيه الكريم هذا الأمر اللازم لوقاية الإنسان من أضرار كثيرة لم يكشف عنها العلم إلا حديثًا.

---

* باحث في الكيمياء الحيوية. الإشراف العلمي: د. محمود عبد الله نجا (مدرس بكلية طب المنصورة). وللراغبين بمتابعة البحث بكامل مراجعه الأجنبية العودة إلى الموقع: www.quran-m.com

المراجع :

- القرآن الكريم، تفسير الطبري، صحيح البخاري، صحيح مسلم، فتح الباري شرح صحيح البخاري، فتح القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، موطأ مالك، سنن ابن ماجه، سنن الترمذي .

« الإعجاز »

دينية علمية غير سياسية.
تبحث في إعجازَيْ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
يساهم في إعدادها باحثون ومفكرون لبنانيون.
لا تتوخى الربح والاشتراك فيها مجاني.
ما على الراغبين بالحصول على نسخة منها سوى مراجعة مركز المنتدى وتزويده باسم الشخص أو المؤسسة وعدد النسخ المطلوبة مع ذكر العنوان ورقم الهاتف.

الإعجاز التشريعي في الإسلام

الجزء الثالث: الإعجاز التشريعي في السنّة النبوية الشريفة

د. محمد عبد الرحمن المرعشلي[1]

ما هي مزايا وخصائص الإعجاز التشريعي في السنة النبوية؟

– كل ما ذكرناه في مقالٍ سابق من خصائص ومزايا الإعجاز التشريعي في القرآن، ينطبق على السنة الشريفة، فالسنة هي المفسرة للقرآن كما في قوله تعالى ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾[2] فهي التي تقيد مطلقه، وتبين مجمله، وتخص عامّه، وقد تستقل بالتشريع[3]، فقد أعطي ﷺ جوامع الكلم كما روى مسلم في «**صحيحه**» بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت **جوامع الكلِم**...». الحديث[4]، فما معنى جوامع الكلم؟ وما علاقة ذلك بالمبادئ التشريعية؟ هذا ما يجيب عنه الإمام النووي حيث قال في «**المنهاج**»[5]: «قال الهروي: يعني به القرآن، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ، كان بالجوامع قليل اللفظ، كثير المعاني» وهذا يؤكد ما سبق وقلناه حول مزايا وخصائص الإعجاز التشريعي في القرآن على لسان النبي ﷺ، وبالإضافة إلى القرآن يقول ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه[6]» قال ابن كثير[7]: «يعني السنة، والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن»[8].

بلاغة الرسول فتحت المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة

المبادئ التشريعية في القواعد الفقهية التي أساسها السنة النبوية

نجد في الأحاديث النبوية الشريفة مبادئ تشريعية وقواعد كلية جامعة في قوالب موجزة رائعة إنها القواعد الفقهية[9]، ولتوضيح ذلك وإبراز وجه الإعجاز التشريعي سنمثل لذلك بإعطاء مثلين:

المثال الأول قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[10]، وهو قد سبق بأسلوب النفي للجنس للمبالغة، لأن معناه النهي، أي لا يضر أحد بآخر فلا يلحق به مفسدة مطلقاً، وكذلك لا يلحق مفسدة على وجه المقابلة له، فلا يجوز الإضرار بأحد في نفسه، أو ماله، أو عرضه، حتى ولو نتج ذلك من قيام الإنسان بالأفعال المباحة، كمن يحفر بئراً في داره ولكنه يضر بجاره، وهذا ما يسمى **بالتعسف في استعمال الحق** الذي سبق فيه الإسلام كل النظم الحديثة.

وكذلك لا يجوز مقابلة الإضرار بالإضرار، فمثلا لو أتلف شخص مال آخر، فلا يجوز للآخر أن يقوم بإتلاف مال المعتدي، بل عليه أن يأخذ بدله عن طريق القضاء أو نحوه.

وتتفرع من هذا المبدأ آلاف المسائل والفروع حتى قال الإمام السيوطي: «إن هذه القاعدة ينبني عليها كثير من أبواب الفقه، من ذلك: الرد بالعيب، وجميع أنواع الخيار، والحجر[11] بأنواعه، والشفعة، والقصاص والحدود والكفارات، وضمان المتلف، والقسمة ونصب الأئمة، والقضاة، ودفع الصائل [12]، وقتال المشركين والبغاة، وفسخ النكاح بالعيوب أو الإعسار وغير ذلك[13]، بل هي إحدى القواعد الخمس التي يرجع إليها الفقه كله[14].

المثال الثاني: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات..»[15] الذي بني عليه قاعدة «الأمور بمقاصدها» وهي من القواعد الفقهية الكبرى حيث قال الإمام الشافعي، وأحمد، وابن المديني، وأبو داود، والدارقطني وغيرهم عن هذا الحديث: «إنه ثلث العلم...» بل قال الشافعي: يدخل في سبعين باباً. قال السيوطي من ذلك **ربع العبادات** بكماله، كالوضوء، والغسل فرضاً ونفلاً، ومسح الخف.. والتيمم، وإزالة النجاسة على رأي، وغسل الميت على رأي، والأواني في مسألة الضبة بقصد الزينة أو غيرها، والصلاة بأنواعها فرض عين وكفاية، وراتبة وسنة، ونفلاً مطلقاً، والقصر، والجمع، والإمامة، والاقتداء، وسجود التلاوة والشكر، وخطبة الجمعة على أحد الوجهين، والأذان على رأي، وأداء الزكاة، واستعمال الحلي أو كنزه، والتجارة...

الضرر فعل المعتدي والضرار ردة الضحية

بل يسري ذلك إلى سائر **المباحات** إذا قصد بها التقوي على العبادة أو التوصل إليها، كالأكل والنوم، واكتساب المال وغير ذلك، وكذلك النكاح والوطء إذا قصد به إقامة السنة أو الإعفاف أو تحصيل الولد الصالح، ومما تدخل فيه من **العقود** ونحوها: كنايات البيع والهبة، والوقف والقرض، والضمان، والإبراء، والحوالة، والإقالة، والوكالة، وتفويض القضاء، والإقرار، والإجارة، والوصية... وفي **القصاص** مسائل كثيرة..[16]، فعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان يجب أن تكون مبنية على مبدأ الأخوة والتعاون والتناصح، وجميع تصرفاته تحكمها نيته بناءً على هذا الحديث، خلافاً لما نشاهده اليوم، من نوايا الخداع والغش والمكر في معاملات الناس بين بعضهم البعض، إذ يكفي أن يتعرف الإنسان على القوانين ويدرسها جيداً كي يتحايل عليها، ويستغل ثغراتها لتمرير خداعه على البسطاء والسذج، وهكذا تمر خدعته تحت غطاء القانون، ويقع له ضحايا كثيرون من الأبرياء، لا يستطيعون مقاضاته ومحاكمته؛ لأن القانون لا يحمي المغفلين؟!!

من كل مبدأ في الحديث الشريف تتفرع مئات المسائل

لقد اهتم الإسلام بالإنسان وتربيته وتهذيبه قبل أن يُقدم على أعماله، فوجهه إلى إصلاح نيته، وأعلمه أنه محاسب على العمل وفق هذه النية ممّن خلق الإنسان، ويعرف ما تُوسوس به نفسه، ويطلع على نواياه، فأين سيهرب يوم القيامة من المحكمة الربانية إن هو أخفى نية السوء وأضمرها؟

أمثلة توضيحية على الإعجاز التشريعي في السنة

هناك أمثلة كثيرة يمكن اعتبارها إعجازاً تشريعياً في السنة، ففي كتاب البيوع وحده واحد وعشرون باباً يندرج تحتها أنواع كثيرة من البيوع وفيها الدعوة إلى عدم بيع المجهول المؤدي للمنازعة والتشاحن والتباغض وزرع الأحقاد بين المتبايعين وعدم الغش في البيع، مثل بيع الملامسة[17] والمنابذة[18]، وبطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر، وتحريم بيع حبل الحبلة، وبيع الرجل على بيع أخيه، وسومه على سومه (حتى لا يكره أحدهما الآخر) وتحريم النجش (وهو الاستثارة وكل من استثار شيئاً فهو ناجش وهو الختل والخداع) والتصرية[19]، وتحريم تلقي الجلب[20]، وتحريم بيع الحاضر للبادي[21] (بأن يكون له سمساراً)، وبطلان بيع المبيع قبل القبض، وتحريم بيع صبرة التمر (أي الكومة المجهولة القدر) بتمر (أي بكيل معين القدر)، وثبوت خيار المجلس[22] للمتبايعين، مع الصدق في البيع (الموجب للبركة)، وتحريم الخداع فيه، والنهي عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها (أي حتى تذهب

عنها الآفة منعاً للتنازع) وتحديد ثمرة من باع نخلاً عليها تمر (بشرط المبتاع)، والنهي عن المحاقلة[٢٣] والمزابنة[٢٤]، والمخابرة[٢٥]، وعن بيع المعاومة (وهو بيع السنين) بسبب الجهالة في عقودها، وسنكتفي بعرض ثلاثة أنواع من هذه البيوع تبياناً للإعجاز التشريعي في السنة.

المثال الأول: بيان بطلان البيع الذي فيه غرر

فعن أبي هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر»[٢٦].

والنهي عن بيع الغرر هو أصلٌ عظيم من أصول كتاب البيوع، ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة كبيع الآبق[٢٧]، والمعدوم، والمجهول، وما لا يقدر على تسليمه، وما لم يتمّ ملك البائع عليه، وبيع السمك في الماء الكثير، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وبيع بعض الصبرة مبهماً[٢٨]، وبيع ثوب من أثواب، وشاةٍ من شياهٍ، ونظائر ذلك، وكل هذا بيعه باطل لأنه غررٌ من غير حاجة، ومن أمثلة هذه البيوع في زماننا شراء الأدوات المنزلية أو الكهربائية أو السيارات وغيرها وهي غير موجودة في الشركات، وأجمع المسلمون على بطلان بيع الأجنة في البطون، والطير في الهواء بسبب الغرر إلا إن دعت حاجة إلى ارتكاب الغرر، ولا يمكن الاحتراز عنه إلا بمشقة، وكان الغرر حقيراً جاز البيع وإلا فلا[٢٩]، وكانت هذه البيوع من بياعات الجاهلية المشهورة، لكن أبطلها النبي ﷺ بالنصوص التشريعية لما ينتج عنها من شرور ومفاسد وظلم وغبن مالي وتجاري ومنازعات سادت المجتمع، فما أعظم هذا النبي الكريم! وليت المسلمون ينتبهون اليوم في أسواقهم لهذا، بالامتناع عن بيع أو شراء المعدوم!

حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ثلث العلم!

المثال الثاني: بُطلان بيع المبيع قبل القبض

فعن النبي ﷺ أنه قال: «من ابتاع طعاماً، فلا يبعه حتى يستوفيه[٣٠]» [٣١]، وفي رواية: «حتى يقبضه» وفي رواية: «كنا نشتري الطعام من الركبان جزافاً، فنهانا رسول الله ﷺ أن نبيعه حتى ننقله من مكانه»، والعلة في ذلك أن عدم استيفاء السلعة أو قبضها أو استلامها بيد الشاري يؤدي إذا لم يتم إلى فتح باب الريب والشكوك الموصلة للمنازعات، فربما تنشأ ظروف قاهرة تمنع التسليم أو تتلف السلعة، أو تودي بها إلى الهلاك، فإذا باعها صاحبها قبل استلامها دخل مع زبونه في دائرة التزوير والغش وعدم القدرة على التسليم، فصار كبيع المجهول والمعدوم أي بيع الغرر.

وردت في فقه البيوع أبواب لم يرد في أي تشريع آخر

ولهذا كله حرص النبي ﷺ على منع ذلك باستيفاء السلعة ابتداءً، لسد الذرائع، وكم توجد اليوم بيوع معاصرة يندم أصحابها على فعل الشراء لأنها غير مقدورة التسليم كونها وهمية أو غير موجودة أو لا تتفق والشروط التي طالب بها الشارع الحكيم مثل التجارة بالبورصة أو الشراء على الانترنيت بدون الضوابط الشرعية!! فيصبح أصحابها ضحية اللصوص، وتذهب أموالهم ضياعاً وحسرة وندامة، فلله در هذا النبي الكريم ﷺ الذي طالب بالضمانات عند البيع والشراء حتى يمنع هذا الغش وهدر أموال الناس في مهب رياح الجهالة؟

المثال الثالث: النهي عن بيع الثمار قبل بدوّ صلاحها

فعن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع

الثمر حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع»[٣٢] وفي لفظ: «نهى عن بيع النخل حتى يزهو[٣٣]»[٣٤]، وفي لفظ آخر: «لا تبتاعوا الثمر حتى يبدو صلاحه وتذهب عنه الآفة»[٣٥].

والعلة واضحة في النهي عن مثل هذا البيع وهي الخوف من عدم ظهور الثمار إذا تعاقد الشاري والبائع قبل هذه المرحلة فيكون كشراء المعدوم، وهذه المشكلة تنتشر اليوم في العقود الزراعية باسم «ضمان الأراضي» خلافاً للسنة حيث يضمن أصحاب البساتين الزراعية محصولها على مبلغ معين قبل ظهور ثمارها، وربما ظهرت آفة أو جائحة أو صقيع أو جفاف مانع لظهور الثمار، فتبدأ المنازعات بين المتعاقدين ومعها خراب بيوت الناس، وهذا الذي حذر منه ﷺ، فلله در هذا التشريع العظيم! وهذا النبي المشرّع الحكيم.

---

(١) أستاذ التفسير في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية – بيروت.
(٢) النحل/ ٤٤.
(٣) انظر هذا الاستقلال بالتشريع عند السباعي في كتابه «**السنة ومكانتها في التشريع**» الصفحة (٤١٤).
(٤) أخرجه مسلم.
(٥) النووي «**المنهاج**» (٨/٥).
(٦) رواه أحمد.
(٧) ابن كثير «**تفسير القرآن العظيم**» (٤/١).
(٨) انظر استدلال الإمام الشافعي على هذا في كتابه العظيم «**الرسالة**» الصفحة (٦٤) فما بعد.
(٩) القاعدة الفقهية هي: قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها» الجرجاني «**التعريفات**» الصفحة (٢٥١).
(١٠) رواه أحمد وابن ماجه.
(١١) الحجر: **المنع**، وهو منع نفاذ التصرفات القولية وهو نوعان: تام بسبب الجنون وعدم التمييز، وناقص بسبب السفه والإفلاس ومرض الموت. «**معجم لغة الفقهاء**» لقلعه جي الصفحة (١٥٤).
(١٢) الصائل: هو المتعدي كما في **لسان العرب** لابن منظور مادة (ص و ل) والصيال: السطو والتهديد للأموال أو الأنفس أو الأعراض «**معجم لغة الفقهاء**» لقلعه جي الصفحة (٢٥٠).
(١٣) السيوطي «**الأشباه والنظائر**» الصفحة (٩٢)، وابن نجيم «**الأشباه والنظائر**» الصفحة (٨٥).
(١٤) السيوطي «**الأشباه والنظائر**» الصفحة (٨).
(١٥) متفق عليه.
(١٦) السيوطي «**الأشباه والنظائر**» الصفحة (٨-١٠)، ابن نجيم «**الأشباه والنظائر**» الصفحة (٢٠).
(١٧) الملامسة: من اللمس، أن يتفق المتعاقدان على تسليم ما تلمسه يده بمبلغ كذا، «**معجم لغة الفقهاء**» لقلعه جي الصفحة (٤٢٧).
(١٨) المنابذة: من النبذ وهو الإلقاء، أن يشتري الثوب دون تعيين ثم يأخذ الثوب الذي ينبذه البائع، وهو من بيوع الجاهلية «**معجم لغة الفقهاء**» الصفحة (٤٣٠).
(١٩) التصرية: معناه جمع اللبن في ضرع الإبل والغنم عند إرادة البيع، فيظن المشتري أن كثرة لبنها عادة لها مستمرة. انظر «**صحيح مسلم**» (١١٥٥/٣).
(٢٠) وهي تلقي السلع قبل أن تبلغ الأسواق. «**صحيح مسلم**» (١١٥٦/٣).
(٢١) وهو تلقي الركبان. «**صحيح مسلم**» (١١٥٧/٣).
(٢٢) بأن يكون لكل من المتعاقدين حق فسخ العقد ما داما في مجلس العقد، ما لم يتفرقا عنه في أبدانهما، وعند الحنفية: أن يكون لكل من العاقدين الرجوع عن العقد ما لم يقبل الآخر بالبيع **التعريفات** للجرجاني الصفحة (١٧٠).
(٢٣) المحاقلة: (من الحقل) هو بيع الحنطة مع سنبلها بحنطة، مثل كيلها تقديراً انظر «**التعريفات**» للجرجاني الصفحة (٢٨٧)، أو هي كراء الأرض بجزء مما يخرج منها كما في «**معجم لغة الفقهاء**» لقلعه جي (٣٧٨).
(٢٤) المزابنة: من الزبن وهو الدفع، بيع معلوم القدر بمجهول القدر من جنسه، أو بيع مجهول القدر بمجهول القدر من جنسه كبيع الرطب على النخيل بتمر مجذوذ. **التعريفات** للجرجاني الصفحة (٢٩٥).
(٢٥) المخابرة: المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض «**مختار الصحاح**» للرازي مادة (خبر).
(٢٦) أخرجه مسلم.
(٢٧) وهو العبد الذي يهرب.
(٢٨) الكمية من الطعام لا يعرف مقدارها.
(٢٩) النووي «**المنهاج**» (٣٩٥/١٠-٣٩٦).
(٣٠) يستوفيه: أي يقبضه وافياً، كاملاً، وزناً أو كيلاً.
(٣١) أخرجه مسلم.
(٣٢) أخرجه مسلم.
(٣٣) يزهو: أي يظهر ثمره كما في «**المنهاج**» للنووي.
(٣٤) كما عند مسلم.
(٣٥) أخرجه مسلم.

Ecology and the Prophet of Islam

By: Tariq Ramadan*

Awareness that the Universe is in fact a Revelation that must be respected, read, understood, and protected should reform our minds and our attitudes toward nature, animals, and therefore also to an economy focused on economic production and the mad logic of economic growth at all costs to society.

We are still very far from that and reflection about the outcomes of human activity, of levels of consumption, and of development is either absent or else remains very superficial or oversimplified: little communication has been established with the non-Muslim agents and organizations who specialized in such issues and gave us more concrete and less structural or formalistic answers.

Muslim women and men, wishing to be faithful to the deepest essential teachings of Islam, should be primarily interested in the studies-and real-life experiences-which raise questions about our development and consumption models, our utilitarian relationship to nature, and our ecological carelessness. Instead of that, consciences are stifled by heaps of legal rulings, of fatawa which address formal or secondary issues (…), without considering far deeper issues such as reflection over ways of life and modes of behavior and consumption.

And yet, what should we remember of those Quranic verses that speak so beautifully of the signs in the Creation? What should we understand, when reading those verses that drew tears from the Prophet, such as that over which he pondered until dawn: *«In the creation of the heavens and the earth, and the alternation of night and day, there are indeed signs for all those endowed with insight.»*

The Messenger's spiritual initiation began by transforming his outlook on the world, causing him to perceive signs that spoke to him and called on him to ponder, understand, and get closer to the One. He never forgot it, and when looking into his Prophetic experience we cannot but become convinced that there can be no spiritual path without the heart and mind relating more deeply to time, space, nature, and animals. The One appealed to hearts, starting by transforming believers' outlooks on the elements, then on themselves, to turn again to the Universe. This is the meaning of the verse: *«We will show them Our signs on the horizons and in themselves, until it becomes clear to them that this [Revelation] is the truth.»*

The Prophet of Islam continuously reminded his Companions of the importance of the signs in Nature and of respecting it totally. One day, as he was passing by Sa'd ibn Abi Waqqas, who was performing ritual ablution, the Prophet scolded him: «What is this waste, o Sa'd?» «Is there waste, even in ablution?» Sa'd asked. And the Prophet answered: «Yes, even when using the running water of a stream.» Water is a central element in all teachings and ritual practices since it represents the purification of body and heart, in both the physical («real») and spiritual worlds. But the Prophet taught Sa'd and his Companions that neither water nor any element in nature should ever be considered merely as a «means» toward their spiritual edification; on the contrary, respecting them and using them moderately was already in itself a form of spiritual exercise and elevation, a «goal» in their quest for the Creator.

The Prophet's insisting on refusing to waste even «the running water of a stream» shows that he places respect for nature on the level of a primary principle, of a higher objective that must regulate behavior whatever the situation and the consequences of human action may be. This is not an ecology stemming from the foreboding of catastrophes (set off by human actions) but a source of an «ecology at the source» in which humankind's relation to nature rests on an ethical bedrock linked to understanding the deepest spiritual teachings. A believer's relationship to nature can only be based on contemplation and respect. This is what led the Prophet to say: «If one of you holds a [palm] shoot in his hand when Judgment Day arrives, let him quickly plant it.» The believing conscience should therefore feed on this intimate relationship with nature to the very end, so that even one's last gesture should be associated with the renewal of life and its cycles.

The same teaching runs through the Prophet's life: he kept drawing his Companions' attention to the necessity of respecting all animal species. He once told them the following story: «A man was walking along a road, in very hot weather. He saw a well and went down to quench his thirst. When he climbed up again, he saw a dog panting with thirst and said to himself: <This dog is as thirsty as I was: He then went down the well again, filled his shoe with water and climbed up, holding it between his teeth. He gave the dog to drink and God rewarded him and forgave his sins' The Prophet was then asked: «0 Prophet, are we rewarded for treating animals well?» And the Prophet answered: «Any good towards a living creature gets its reward.» Through such traditions and his own example, the Messenger pointed out that respecting animals was part of the most essential Islamic teaching. He used all opportunities to stress this dimension.

Numerous verses and Prophetic traditions express this: they clearly set forth the terms of an Islamic ethics that should be spelled out according to the higher goals of the message as a whole. We are far from the often superficial, chaotic, if not contradictory, reflections proposed today by Muslim societies and communities, their scholars, their thinkers and their institutions, to the notable exception of a few individuals or organizations that spend a large amount of their energy swimming against the tide.

---

* Excepted from «Radical Reform» Islamic Ethics and Liberation by Professor Tariq Ramadan.Professor Tariq Ramadan holds a MA in Philosophy and French literature and PhD in Arabic and Islamic Studies from the University of Geneva. He also received training in classical Islamic scholarship from Al-Azhar University. He is Professor of Islamic Studies (Faculty of Theology at Oxford) and is also a Senior Research Fellow St Antony's College (Oxford), Doshisha University (Kyoto, Japan) and at the Lokahi Foundation (London). Complete article is found on the web site www.IslamiCity.com. Article Ref: IC09033825-.

خيراً يره
الجزاء من جنس العمل

العميد الركن المتقاعد
الدكتور محمد فرشوخ

إفتتح الحكيم موعظته بالقول: يعرف أغلبنا الحكم الشرعي فيما يرتكبه الناس بحق بعضهم بعضا، بقول الله تعالى في سورة المائدة: ... أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ....

ويكتفي بعض الناس بالاعتقاد أن ثواب الحسنة عشر أمثالها وجزاء السيئة مثلها، وكفى، وكأن العلاقة هي فقط بين المرتكب وبين ربه، ويغيب عن بال البعض بأن على المرتكب دين يبقى ولا يغفره إلا المتضررون من الخلق لأن حقوق الله مبنية على المسامحة، والله تعالى يعفو عن كثير. أما حقوق العباد فهي كالدَيْن مبنيةٌ على المشاحة. ولربما ذهبت القاعدة الإلهية أبعد من ذلك فيأتي الثواب والعقاب من نوع العمل ذاته، يقول تعالى: ﴿ *وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* ﴾ [٤٠] (سورة الشورى). وفي سورة غافر: ﴿ *مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ* ﴾ [٤٠]. وفي سورة النساء: ﴿ *مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا* ﴾ [٨٥]. ومعنى مقيتا أي يجزي بالمقدار والعيار المناسبين.

فالله تعالى عليم يعلم ما فعلناه من إحسان أو إساءة. والله حكم وعادل، يثيب على الإحسان ويعاقب على الإساءة. والله تعالى حكيم يريدنا أن نتعلم ونعتبر وأن نتقي العقاب ونتنافس في طلب الأجر والثواب. والله تعالى واسع القدرة لا يعاقب على المخالفة بأية عقوبة كيفما اتفق ولا يثيب على الحسنة بأي ثواب كان، فهو الغني وهو المقدّر فيعطي الثواب من جنس الإحسان، ويحدد العقاب ويقدره من جنس الإساءة المرتكبة.

لنأخذ مثلاً ثواب المحافظ على صلاته وجزاء تارك الصلاة: أقله أن الصلاة تزيد صلة العبد بربه وتقربه إليه تباعاً قال تعالى في سورة العلق: ﴿ *واسجد واقترب* ﴾. وأما من غفل عن صلاته فقد زاد من الله بعداً، وجزاؤه مزيد من الانغماس في الغفلة والشهوات والمعاصي قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ *..وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر..* ﴾. والمعنى أن تارك الصلاة

أكثر عرضة لارتكاب المعاصي وأكثر تعرضاً لخطرها من الآخرين.

وثواب الصيام الصحة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**صوموا تصحوا**»، يصح الجسم وتصح الإرادة والعزيمة. والمعنى أن من لايصوم هو ضعيف مناعة الجسم ضعيف الإرادة حتى ولو تظاهر بعكس ذلك، فإذا أهين أو استضعف كان بلا مقاومة وبلا كرامة.

وأما ثواب الزكاة والصدقات فهو خيرٌ يعمّ ويتضاعف، ومن الرزق ذاته الذي يُتصدق به، قال الله تعالى: ﴿ *مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ* ﴾ [٢٦١] (سورة البقرة)، أما إن كان من غير نوع من الصدقة والبذل فالجزاء من النوع المبذول قال تعالى: ﴿ *وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* ﴾ [٣٩] (سورة سبأ). وحاشى لله أن يعرف أهل الصدقات في حياتهم فقرا أو عوَزا.

وإذا قرأت القرآن وداومت على قراءته أوجد الله تعالى في قلبك حلاوةً تشدك إليه وفتح على قلبك معانٍ لم تكن لتخطر لك على بال، فتزداد بالقرآن تعلقا وبالله تعالى حبا.

وأما ثواب ﴿ *لا إله إلا الله* ﴾، فأقله إن رددها العبد صادقاً لائذاً بها، أنها حصن وملاذ له في الدنيا وفي الاخرة، ففي الحديث: « قال الله تعالى أنا الله لا إله إلا أنا من أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي».

هذا فيما بين العبد وربه، فماذا فيما بين عباد الله؟ والحساب أدق وأشد!

فمن تتبع عورات الناس عوقب بفضح عوراته، يقول صلى الله عليه وسلم:-ح: « يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِه وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِه، لاَتُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِه».

وفي من عيّر غيره استهزاءً وتعالياً، جوزي بالعار ذاته، جاء في الحديث الشريف: -ح: «من عيَّرَ أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله».وجاء كذلك:-ح: «البلاء موكل بالمنطق، فلو أن رجلا عير رجلا برضاع كلبة لرضعها». وجاء أيضاً:-ح: «لا تُظْهِرِ الشَّماتَةَ لأخيكَ فَيَرْحَمُهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ».

ومن زنى تسلط عليه من يزني بأهله!، قال صلى الله عليه وسلم: -ح:» عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباؤكم تبركم أبناؤكم...». وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

عفّوا تعفّ نساؤكم في المُحْرَمِ
وتجنبوا ما لايليق بمسلمِ
إن الزنى دينٌ فإن أقرضته
كان الوفاء بأهل بيتك فاعلم

ومن حلل لنفسه الحرام فقد لذة الحلال مع أهله فلا يستطيب مجالسة زوجته.

ومن مكر بالناس أتاه من يمكر به: يقول الله تعالى: ﴿ *ولا يحيق المكر السيّء إلا بأهله* ﴾. ومهما بلغ بالماكر مكره فمكر الله لا يرد، قال تعالى: ﴿ *أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ* ﴾ [٩٩] (سورة الأعراف).

ومن تخلى عن نصرة مسلم وهو مستطيع لا بد أن يدفع الثمن تخل وخذلانا: ففي الحديث: «ما من امْرِىءٍ يَخْذُلُ امْرَأَ مُسْلماً في مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فيه مِنْ عِرْضِه إِلاَّ خَذَلَهُ اللَّهُ في مَوْطِنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِىءٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً في مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَك فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلا نَصَرَهُ اللَّهُ في مَوْطِنٍ يُحِب نُصْرَتَهُ».

ومن أعان أعين ومن سَتَرَ سُتر: وفي الحديث: » «مَنْ نَفّسَ عَنْ مؤمن كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدّنْيَا نَفّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ الله في الدّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالله في عَوْنِ الْعَبْدِ ما كَانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ».

وأما الحسد فهو شر كما ذكره الله تعالى في سورة الفلق، وهو حسرة في قلب الحاسد يصيبه قبل أن يصيب الشخص المحسود يأكل قلبه وهو كالجمرة يحرقه في أعماق نفسه، قال تعالى: ﴿ ***حسداً من عند أنفسهم*** ﴾.

ومن عادى ولياً لله عاداه الله: يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً آذنته بالحرب...». أي أعلن الله عليه الحرب.

ومن أغلق الطريق على من يدعو إلى الله فإنما أغلق على نفسه باب الفتح وباب الرزق وباب السعادة، فصار كلامه كالحجارة أو أشد قسوة، فكانما قطع الطريق على نفسه قبل أن يقطعها على غيره.

وما افتري على أحد ظلماً إلا نصره الله وباء المفتري بما افترى من الظلم:–ح: « ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر».

ومن صدَق وأكثر من الصدق صدّقه الناس ومن كذّب وأكثر من الكذب كذّبه الناس وسفّهوه ولو حدّث بالصدق يوماً:–ح: « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا؛ وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

حتى يصل الأمر في النهاية إلى أن يوصف المرء بنوع عمله: قال تعالى: ﴿ ***قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً*** ﴾ [٨٤](سورة الإسراء).

أنهى الحكيم الجلسة بالقول: ليس الأمر قضية ثواب وعقاب وحسب، بل أن يرى العبد والناس جزاء ما فعل وأن يجعله الله تعالى عبرة، وهنا الدرس والمغزى. يقول تعالى: ﴿ ***فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره*** ﴾ . فهو لن يجزى به فقط بل سيكون له منه حظ ونصيب إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ. بعضه يتلقاه في الدنيا وبعضه الآخر في الآخرة، فاتقوا الله يا أولي الألباب، إنما نفعل الخير مع أنفسنا أولاً. وما نكنّ به من شر فعلينا يقع قبل أن يؤذي غيرنا .

قال الله تعالى: ﴿ ***يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ*** ﴾ [٣٠] (سورة آل عمران).

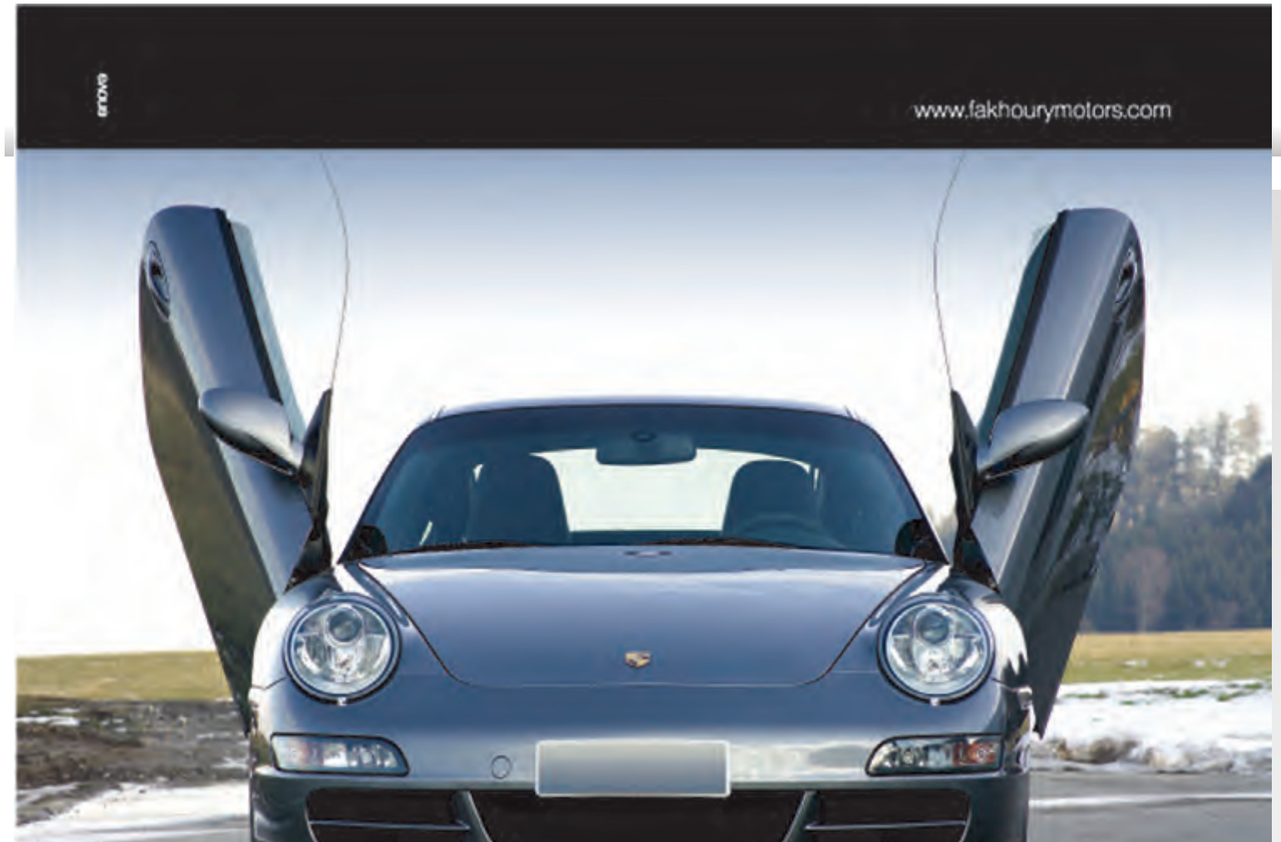

للإيتاء الزكاة.. صندوق واحد

صندوق الزكاة

عائشة بكار ـ شارع ابن رشد ـ جوار دار الفتوى
هاتف ٧٧٠٧٧٠(٠١) ـ فاكس: ٨١٠٩٨٥ (٠٠٩٦١١)
ص.ب: ١١٣/٥٩٠١ بيروت ـ لبنان
e-mail: info@zakat.org.lb
يمكنكم التبرع عبر موقعنا الالكتروني:
www.zakat.org.lb

دار الفتوى
صندوق الزكاة في لبنان

خاص الأجرة
لبنان
LIBAN
P.P.
MAZRAA

ب. ٣٧١
P. 371

الإعجاز

علمية - دينية - فصلية
تصدر عن منتدى الإعجاز العلمي في القرآن و السنة لبنان

بيروت، لبنان
جادة الراشدين – تقاطع بسترس الصنائع
سنتر مونتي مارينا–بلوك C ط٣
هاتف:٩٦١١٣٤٦٦٩٩+ – فاكس: ٩٦١١٣٤٦٦٨٨+
بريد إلكتروني: iijazforum@gmail.com